المبحث الثانى

جهاد الصديق لأهل الردة

أولاً: الردة اصطلاحًا وبعض الآيات التى حذرت من الردة:

١- الردة اصطلاحًا:

عرف النووى الردة بأنها: قطع الإسلام بنية أو قول كفر أو فعل سواء قاله استهزاءً أو عنادًا أو اعتقادًا، فمن نفى الصانع أو الرسل أو كذب رسولاً أو حلل محرمًا بالإجماع كالزنا وعكسه، أو نفى وجوب مجمع عليه أو عكسه، أو عزم على الكفر أو تردد فيه كفر(١).

وعرفها عليش المالكى: بأنها كفر المسلم بقول صريح أو لفظ يقتضيه أو بفعل يتضمنه(٢).

وعرف ابن حزم الظاهرى (المرتد) بأنه: كل من صح عنه أنه كان مسلمًا متبرئًا من كل دين حاشا دين الإسلام ثم ثبت عنه أنه ارتد عن الإسلام وخرج إلى دين كتابى أو غير كتابى أو إلى غير دين(٣).

وعرفه عثمان الحنبلى: بأنه لغة: الراجع. قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ [المائدة: ٢١] وشرعًا: من أتى بما يوجب الكفر بعد إسلامه(٤).

ومعنى هذا أن المرتد هو كل من أنكر معلومًا من الدين بالضرورة كالصلاة والزكاة والنبوة وموالاة المؤمنين، أو أتى بقول أو فعل لا يحتمل تأويلاً غير الكفر(٥).

٢- بعض الآيات التى أشارت إلى المرتدين:

أطلق الله سبحانه وتعالى على المرتدين عن دينه عبارات تشير إلى هذا المرتكس الوبى

---

(١) محمد الزهرى الغمراوى شرح على متن المنهاج، لشرف الدين النووى، ص٥١٩.

(٢) أحكام المرتد للسامرائى، ص٤٤.

(٣) المحلى (١١/١٨٨)، المطبعة المنيرية ١٣٥٢هـ.

(٤) أحكام المرتد للسامرائى، ص٤٤.

(٥) حركة الردة، د. على العتوم، ص١٨. وهو من أهم المراجع فى بحث الردة.

الذى تحولوا إليه، منها الردة على الأعقاب أو على الأدبار والانقلاب بالخسران وطمس الوجوه ورد الأيدى فى الأفواه والارتياب والتردد واسوداد الوجوه[1]. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٩]. وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا** ﴾ [النساء: ٤٧] وجاء فى تفسير ابن كثير: وطمسها أن تعمى وقوله: فنردها على أدبارها أى: نجعل لأحدهم عينين من قفاه، وهذا أبلغ فى العقوبة والنكال، وهذا مثل ضربه الله لهم فى صرفهم عن الحق وردهم إلى الباطل ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلى سبيل الضلالة يهرعون ويمشون القهقرى على أدبارهم[2].

وقال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

نقل القرطبي فيها جملة آراء منها رأى قتادة أنها فى المرتدين، كما نقل حديثًا لأبى هريرة وقال عنه قد يستشهد به بأن الآية فى الردة وهو: «**يرد على الحوض يوم القيامة رهط من أصحابى فيجلون عن الحوض فأقول: يا رب أصحابى! فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى**»[3]. وفى رواية أخرى لهذا الحديث عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات اليمين فأقول: أصحابى، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم، فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم**»[4].

ثانيًا: أسباب الردة وأصنافها:

إن الردة التى قامت بها القبائل العربية بعد وفاة رسول الله ﷺ لها أسباب منها: الصدمة بموت رسول الله ﷺ، ورقة الدين والسقم فى فهم نصوصه، والحنين إلى الجاهلية

---

(١) حركة الردة، ص١٨.

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٠٧، ٥٠٨) طبعة الحلبى.

(٣) تفسير القرطبى (٤/ ١٦٦).

(٤) الخصائص الكبرى للسيوطى (٢/ ٤٥٦).

ومقارفة موبقاتها، والتفلت من النظام والخروج على السلطة الشرعية، والعصبية القبلية والطمع فى الملك، والتكسب بالدين والشح بالمال، والتحاسد، والمؤثرات الأجنبية(١) كدور اليهود والنصارى والمجوس، وسنتحدث عن كل سبب بإذن الله تعالى.

وأما أصنافها فمنهم من ترك الإسلام جملة وتفصيلاً وعاد إلى الوثنية وعبادة الأصنام، ومنهم من ادعى النبوة، ومنهم من دعا إلى ترك الصلاة، ومنهم من بقى يعترف بالإسلام ويقيم الصلاة ولكنه امتنع عن أداء زكاته، ومنهم من شمت بموت الرسول وعاد أدراجه يمارس عاداته الجاهلية، ومنهم من تحير وتردد وانتظر على من تكون الدبرة، وكل ذلك وضحه علماء الفقه والسير(٢).

قال الخطابى: إن أهل الردة كانوا صنفين: صنفًا ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا إلى الكفر، وهذه الفرقة طائفتان: إحداهما أصحاب مسيلمة من بني حنيفة وغيرهم الذين صدقوه على دعواه فى النبوة، وأصحاب الأسود العنسى ومن كان من مستجيبيه من أهل اليمن وغيرهم، وهذه الفرقة بأسرها منكرة لنبوة سيدنا محمد ﷺ مدعية النبوة لغيره، والطائفة الأخرى ارتدوا عن الدين وأنكروا الشرائع وتركوا الصلاة والزكاة وغيرها من أمور الدين وعادوا إلى ما كانوا عليه فى الجاهلية، والصنف الآخر هم الذين فرَّقوا بين الصلاة والزكاة فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض الزكاة ووجوب أدائها إلى الإمام(٣)... وقد كان ضمن هؤلاء المانعين للزكاة من كان يسمح (بها) ولا يمنعها إلا أن رؤساءهم صدُّوهم عن ذلك وقبضوا أيديهم على ذلك(٤).

وقريب من هذا التقسيم لأصناف المرتدين تقسيم القاضى عياض غير أنهم عنده ثلاثة: صنف عادوا إلى عبادة الأوثان وصنف تبعوا مسيلمة والأسود العنسى، وكل منهما ادعى النبوة، وصنف ثالث استمروا على الإسلام ولكنهم جحدوا الزكاة، وتأولوا بأنها خاصة بزمن النبى ﷺ(٥).

---

(١) حركة الردة، على العتوم، ص١١٠ إلى ١٣٧.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٢٠.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووى (١/٢٠٢).

(٤) نفس المصدر السابق (١/٢٠٣).

(٥) فتح البارى (١٢/٢٧٦).

وقسم الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود المرتدين إلى أربعة أصناف: صنف عادوا إلى عبادة الأوثان والأصنام، و صنف اتبعوا المتنبئين الكذبة الأسود العنسى ومسيلمة وسجاح، وصنف أنكروا وجوب الزكاة وجحدوها، وصنف لم ينكروا وجوبها ولكنهم أبوا أن يدفعوها إلى أبى بكر(١).

ثالثًا: الردة أواخر عصر النبوة:

بدأت هذه الردة منذ العام التاسع للهجرة المسمى بعام الوفود، وهو العام الذى أسلمت فيه الجزيرة العربية قيادها للرسول ﷺ ممثلة بزعمائها الذين قدموا عليه من أصقاعها المختلفة، وكانت حركة الردة فى هذه الأثناء لما تستَعلن بشكل واسع، حتى إذا كان أواخر العام العاشر الهجرى وهو عام حجة الوداع التى حجها رسول الله ﷺ، ونزل به وجعه الذى مات فيه وتسامع بذلك الناس، بدأ الجمر يتململ من تحت الرماد، وأخذت الأفاعى تطل برؤوسها من جحورها، وتجرأ الذين فى قلوبهم مرض على الخروج، فوثب الأسود العنسى باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة، وطليحة الأسدى فى بلاد قومه(٢).

ولما كان أخطر متمردين على الإسلام وهما الأسود العنسى ومسيلمة وأنهما مصممان – كما يبدو – على المضى فى طريق ردتهما قدمًا دون أن يفكرا فى الرجوع، وأنهما مشايعان بقوى غفيرة وإمكانيات وفيرة فقد أرى الله نبيه ﷺ من أمرهما ما تقر به عينه، ومن ثم ما تقر به عيون أمته من بعده، فقد قال يومًا وهو يخطب الناس على منبره: **«أيها الناس إنى قد أريت ليلة القدر ثم أُنسيتها، ورأيت أن فى ذراعى سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا فأولتهما هذين الكذابين: صاحب اليمن وصاحب اليمامة**(٣).

وقد فسر أهل العلم بالتعبير هذه الرؤيا على هذه الصورة فقالوا: إن نفخه ﷺ لهما يدل على أنهما يقتلان بريحه لأنه لا يغزوهما بنفسه، وإن وصفه لهما بأنهما من ذهب دلالة على كذبهما لأن شأنهما زخرف وتمويه، كما دل لفظ السوارين على أنهما ملكان لأن الأساورة هم الملوك، ودلا بكونهما يحيطان باليدين أن أمرهما يشتد على المسلمين فترة لكون السوار مضيقًا على الذراع(٤).

---

(١) الحكم بغير ما أنزل الله، د. عبد الرحمن المحمود، ص٢٣٩.

(٢) حركة الردة، ص٦٥.

(٣) مسند أحمد رقم (١١٤٠٧) باقى مسند المكثرين، وأصله في الصحيحين.

(٤) حركة الردة، ص٦٦.

وعبر الدكتور على العتوم بقوله: . . . بأن طيرانهما بالنفخ دلالة على ضعف كيدهما مهما تضاخم، فشأنهما زَبَدٌ لابد أن يؤول إلى جُفاء ما دام هذا الكيد مستمداً من الشيطان فهو واهن لا محالة، إذ أقل هجمة مركزة فى سبيل الله تحيلهما أثراً بعد عين، وكونهما من ذهب دلالة على أنهما يقصدان من عملهما الدنيا لأن الذهب رمز لحطامها الذى يسعى المغترون بها خلفه، وأنهما سواران إشارة إلى محاولتهما الإطاحة بكيان المسلمين عن طريق الإحاطة بهم من كل جانب تماماً كما يحيط السوار بالمعصم(١).

رابعاً: موقف الصديق من المرتدين:

لما كانت الردة قام أبو بكر رضى الله عنه فى الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحمد لله الذى هدى فكفى، وأعطى فأغنى، إن الله بعث محمداً ﷺ والعلم شريد، والإسلام غريب طريد، قد رثَّ حبله وخلق ثوبه وضل أهله منه، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم، وقد غيروا كتابهم وألحقوا فيه ما ليس منه، والعرب الآمنون يحسبون أنهم فى منعة من الله لا يعبدونه ولا يدعونه، فأجهدهم عيشاً وأظلهم ديناً، فى ظلف من الأرض مع ما فيه من السحاب، فختمهم الله بمحمد وجعلهم الأمة الوسطى، ونصرهم بمن اتبعهم، ونصرهم على غيرهم، حتى قبض الله نبيه فركب منهم الشيطان مركبه الذى أنزل عليه، وأخذ بأيديهم، وبغى هلكتهم: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٤].

إن من حولكم من العرب قد منعوا شاتهم وبعيرهم، ولم يكونوا فى دينهم – وإن رجعوا إليه – أزهد منهم يومهم هذا، ولم تكونوا فى دينكم أقوى منكم يومكم هذا على ما قد تقدم من بركة نبيكم، وقد وكلكم إلى المولى الكافى الذى وجده ضالاً فهداه وعائلاً فأغناه: ﴿**وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا**﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده ويوفى لنا عهده ويقتل من قتل منا شهيداً من أهل الجنة، ويبقى من بقى منها خليفته وذريته فى أرضه، قضاء الله الحق،

---

(١) حركة الردة للعتوم، ص٦٦.

وقوله الذى لا خلف له: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ**﴾(١) [النور: ٥٥].

وقد أشار بعض الصحابة ومنهم عمر على الصديق بأن يترك ما نعى الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم ثم هم بعد ذلك يزكون، فامتنع الصديق عن ذلك وأباه(٢).

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه**(٣)، **وحسابه على الله**». فقال: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعونى عناقًا(٤) كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. وفى رواية: والله لو منعونى عقالاً(٥)، كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبى بكر فعرفت أنه الحق(٦)، ثم قال عمر بعد ذلك: والله لقد رجح إيمان أبى بكر بإيمان هذه الأمة جميعًا فى قتال أهل الردة(٧). وبذلك يكون أبو بكر قد كشف لعمر (وهو يناقشه) عن ناحية فقهية مهمة أجلاها له وكانت قد غابت عنه، وهى أن جملة جاءت فى الحديث النبوى الشريف الذى احتج به عمر هى الدليل على وجوب محاربة من منع الزكاة حتى وإن نطق بالشهادتين، وهى قول النبى ﷺ: «**فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»(٨). وفعلاً كان رأى أبى بكر فى حرب المرتدين رأيًا ملهمًا وهو الرأى الذى تمليه طبيعة الموقف لمصلحة الإسلام والمسلمين، وأى موقف غيره سيكون فيه الفشل والضياع

---

(١) البداية والنهاية (٦/٣١٦).

(٢) نفس المصدر السابق، (٦/٣١٥).

(٣) بحقه: حق الإسلام.

(٤) عناقًا: الأنثى من ولد المعز.

(٥) عقالاً: هو الحبل الذى يعقل به البعير.

(٦) البخارى، رقم (١٤٠٠)؛ مسلم رقم (٢٠).

(٧) حروب الردة، محمد أحمد باشميل، ص٢٤.

(٨) مسلم رقم ٢١.

والهزيمة والرجوع إلى الجاهلية، ولولا الله ثم هذا القرار الحاسم من أبى بكر لتغير وجه التاريخ وتحولت مسيرته ورجعت عقارب الساعة إلى الوراء، ولعادت الجاهلية تعيث فى الأرض فساداً[١].

لقد تجلى فهمه الدقيق للإسلام وشدة غيرته على هذا الدين وبقاؤه على ما كان عليه فى عهد نبيه فى الكلمة التى فاض بها لسانه ونطق بها جنانه وهى الكلمة التى تساوي خطبة بليغة طويلة وكتاباً حافلاً، وهى قوله عندما امتنع كثير من قبائل العرب أن يدفعوا الزكاة إلى بيت المال أو منعوها مطلقاً وأنكروا فرضيتها: قد انقطع الوحى وتم الدين أينقص وأنا حى؟[٢] وفى رواية: قال عمر: فقلت: يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم. فقال لى: أجبَّار فى الجاهلية خوَّار فى الإسلام، قد انقطع الوحى وتم الدين أينقص وأنا حى؟[٣].

لقد سمع أبو بكر وجهات نظر الصحابة فى حرب المرتدين، وما عزم على خوض الحرب إلا بعد أن سمع وجهات النظر بوضوح، إلا أنه كان سريع القرار حاسم الرأى، فلم يتردد لحظة واحدة بعد ظهور الصواب له، وعدم التردد كان سمة بارزة من سمات أبى بكر - هذا الخليفة العظيم - فى حياته كلها[٤]، ولقد اقتنع المسلمون بصحة رأيه ورجعوا إلى قوله واستصوبوه.

لقد كان أبو بكر رضى الله عنه أبعد الصحابة نظراً وأحقهم فهماً وأربطهم جناناً، فى هذه الطامة العظيمة[٥]، والمفاجأة المذهلة، ومن هنا أتى قول سعيد بن المسيب رحمه الله: وكان أفقههم، يعنى الصحابة، وأمثلهم رأياً[٦].

إن أبا بكر كان أنفذ بصيرة من جميع من حوله، لأنه فهم بإيمانه الذى فاق إيمانهم جميعا أن الزكاة لا تنفصل عن الشهادتين، فمن أقر لله بالوحدانية لابد أن يقر له بما يفرض من حق فى ماله، الذى هو مال الله أصلاً وأن لا إله إلا الله بغير زكاة لا وزن لها فى

---

(١) الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص٨٦.

(٢) المرتضى لأبى الحسن الندوى، ص٧٠.

(٣) مشكاة المصابيح، كتاب المناقب رقم (٦٠٣٤).

(٤) الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص٨٧.

(٥) حركة الردة للعتوم، ص١٦٥.

(٦) البدء والتاريخ للمقدسى (٥/١٥٣).

حياة الشعوب، وأن السيف يشرع دفاعًا عن أدائها تمامًا كما يشرع دفاعًا عن لا إله إلا الله تمامًا هذه كتلك. هذا هو الإسلام وغير هذا ليس من الإسلام(١)، فقد توعد الله أولئك الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

كان موقف أبى بكر رضى الله عنه الذى لا هوادة فيه ولا مساومة فيه ولا تنازل موقفًا ملهمًا من الله يرجع إليه الفضل الأكبر - بعد الله تعالى - فى سلامة هذا الدين وبقائه على نقائه وصفائه وأصالته، وقد أقر الجميع وشهد التاريخ بأن أبا بكر قد وقف فى مواجهة الردة الطاغية ومحاولة نقض عرى الإسلام عروة عروة، موقف الأنبياء والرسل فى عصورهم، وهذه خلافة النبوة التى أدى أبو بكر حقها، واستحق بها ثناء المسلمين ودعاءهم إلى أن يرث الله الأرض وأهلها(٢).

خامسًا: خطة الصديق لحماية المدينة:

انصرفت وفود القبائل المانعة للزكاة من المدينة بعدما رأت عزم الصديق وحزمه وقد خرجت بأمرين:

أ- أن قضية منع الزكاة لا تقبل المفاوضة، وأن حكم الإسلام فيها واضح، ولذلك لا أمل فى تنازل خليفة المسلمين عن عزمه ورأيه، وخاصة بعدما أيده المسلمون وثبتوا علي رأيه بعد وضوح الرؤية وظهور الدليل.

ب- أنه لابد من اغتنام فرصة ضعف المسلمين - كما يظنون - وقلة عددهم لهجوم كاسح على المدينة يسقط الحكم الإسلامى فيها ويقضى على هذا الدين(٣).

قرأ الصديق فى وجوه القوم ما فيها من الغدر، ورأى فيها الخسة وتفرس فيها اللؤم، فقال لأصحابه: إن الأرض كافرة وقد رأى وفدهم منكم قلة، وإنكم لا تدرون أليلاً تؤتون أم نهارًا! وأدناهم منكم على بريد وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم

---

(١) حياة أبى بكر، محمود شلبى، ص١٢٣.

(٢) المرتضى للندوى، ص٧٢.

(٣) تاريخ الدعوة إلى الإسلام، ص٢٨٠.

ونوادعهم، وقد أبينا عليهم ونبذنا إليهم عهدهم فاستعدوا وأعدوا[1]. ووضع الصديق خطته على الوجه التالى:

أ- ألزم أهل المدينة بالمبيت فى المسجد حتى يكونوا على أكمل استعداد للدفاع.

ب- نظم الحرس الذين يقومون على أنقاب المدينة ويبيتون حولها، حتى يدفعوا أى غارة قادمة.

ج- عين على الحرس أمراءهم: على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم[2].

د- وبعث أبو بكر رضى الله عنه إلى من كان حوله من القبائل التى ثبتت على الإسلام من أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وكعب يأمرهم بجهاد أهل الردة فاستجابوا له حتى امتلأت المدينة المنورة بهم، وكانت معهم الخيل والجمال التى وضعوها تحت تصرف الصديق[3]، ومما يدل على كثرة رجال هذه القبائل وكبر حجم دعمها للصديق أن جهينة وحدها قدمت إلى الصديق فى أربعمائة من رجالها ومعهم الظهر والخيل، وساق عمرو بن مرة الجهنى مائة بعير لإعانة المسلمين فوزعها أبو بكر فى الناس[4].

هـ- ومن ابتعد من المرتدين عن المدينة وأبطأ خطره حاربه بالكتب يبعث بها إلى الولاة المسلمين فى أقاليمهم، كما كان رسول الله يفعل يحرضهم على النهوض لقتال المرتدين ويأمر الناس للقيام معهم فى هذا الأمر، ومن أمثلة ذلك رسالته لأهل اليمن حيث المرتدة من جنود الأسود العنسى التى قال فيها: (أما بعد فأعينوا الأبناء علي من ناوأهم وحوطوهم واسمعوا من فيروز وجدوا معه فإنى قد وليته)[5]، وقد أثمرت هذه الرسالة وقام المسلمون من أبناء الفرس بزعامة فيروز يعاونهم إخوانهم من العرب بشن غارة شعواء على العصاة المارقين حتى رد الله كيدهم إلى نحورهم، وعادت اليمن

(١، ٢) تاريخ الطبرى (٤/٦٤).

(٣، ٤) الثابتون على الإسلام أيام فتنة الردة، د. مهدى رزق الله، ص٢١.

(٥) البدء والتاريخ للمقدسى (٥/١٥٧).

بالتدرج إلى جادة الحق[١].

و- وأما من قرب منهم من المدينة واشتد خطره كبنى عبس وذبيان فإنه لم ير بدًا من محاربتهم على الرغم من الظروف القاسية التى كانت تعيشها مدينة رسول الله ﷺ، فكان أن آوى الذرارى والعيال إلى الحصون والشعاب محافظة عليهم من غدر المرتدين[٢]، واستعد للنزال بنفسه ورجاله.

سادسًا: فشل أهل الردة فى غزو المدينة:

بعد ثلاثة أيام من رجوع وفود المرتدين طرقت بعض قبائل أسد وغطفان وعبس وذبيان وبكر المدينة ليلاً وخلفوا بعضهم بذى حُسَى ليكونوا لهم ردءًا، وانتبه حرس الأنقاب لذلك وأرسلوا للصديق بالخبر، فأرسل إليهم أن الزموا أماكنكم ففعلوا، وخرج فى أهل المسجد على النواضح إليهم، فانفش العدو فأتبعهم المسلمون على إبلهم، حتى بلغوا ذا حُسَى فخرج عليهم الرِّدْءُ بأنحاء[٣] قد نفخوها وجعلوا فيها الحبال ثم دهدهوها[٤] بأرجلهم فى وجوه الإبل فتدهده كل نحى فى طوله[٥]، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها - ولا تنفر الإبل فى شىء نفارَها من الأنحاء - فعاجت بهم ما يملكونها حتى دخلت بهم المدينة فلم يُصْرَع مسلم ولم يُصَب[٦]. وقال عبد الله الليثى: وكانت بنو عبد مناة من المرتدة - وهم بنو ذبيان - فى ذلك الأمر بذى القصة وبذى حسى:

أطعنا رسولَ الله ما كان بيننا ... فيا لعباد الله ما لأبى بكر

أيورثها بكرًا إذا مات بعده ... وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

فهلا رددتم وفدنا بزمانه ... وهلا خشيتم حس راغية البكر

(١، ٢) حركة الردة للعتوم، ص١٧٤.

(٣) الأنحاء: هى القرب.

(٤) أى: دفعوها.

(٥) أى: فى حبله.

(٦) تاريخ الطبرى (٤/ ٦٥).

وإنَّ التى ســـألُوكُمُ فـــمنعـــتُمُ لكالتمـر أو أحلى إلىَّ من التمـر(١)

فظن القوم بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى أهل ذى القصة بالخبر، فقدموا عليهم اعتماداً فى الذين أخبروهم وهم لا يشعرون لأمر الله عز وجل الذى أراده وأحب أن يبلغه فيهم، فبات أبو بكر ليلته يتهيأ فعبَّى الناس، ثم خرج على تعبية من أعجاز ليلته يمشى، وعلى ميمنته النعمان بن مُقَرِّن وعلى ميسرته عبد الله بن مُقَرِّن وعلى الساقة سُويد بن مُقَرِّن معه الركاب، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو فى صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين همسًا ولا حسًا حتى وضعوا فيهم السيوف فاقتتلوا أعجاز ليلتهم، فما ذرَّ قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار، وغلبوهم على عامَّة ظهرهم، وقتل حبالُ - أخو طليحة الأسدى - وأتبعهم أبو بكر حتى نزل بذى القصة - وكان أول الفتح - ووضع بها النعمان بن مُقَرِّن فى عدد، ورجع إلى المدينة فذل بها المشركون، فوثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم كل قتلة، وفعل من وراءهم فعلهم، وعزَّ المسلمون بوقعة أبى بكر، وحلف أبو بكر ليقتلن فى المشركين كل قتلة، وليقتلن فى كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة(٢).

وفى ذلك يقول زياد بن حنظلة التميمى:

غـــداة ســـعى أبو بكر إليـــهم كـــمـــا يســـعى لموتتـــه جـــلال

أراح على نواهقـــهـــا عليـــا ومج لهن مـــهـــجـــتـــه حـــبـــال(٣)

وصمم الصديق رضى الله عنه على أن ينتقم للمسلمين الشهداء، وأن يؤدب هؤلاء الحاقدين، ونفذ قسمه وازداد المسلمون فى بقية القبائل ثباتًا على دينهم، وازداد المشركون ذلاً وضعفًا وهوانا، وبدأت صدقات القبائل تفد على المدينة فطرقت المدينة صدقات نفر: صفوان ثم الزبرقان، ثم عدىّ، صفوان فى أول الليل والثانى فى وسطه، والثالث(٤) فى آخره، وفى ليلة واحدة أثرت المدينة بأموال زكاة ستة أحياء من العرب وكان كلما طلع على المدينة أحد جباة الزكاة قال الناس: (نذير) فيقول أبو بكر: (بل بشير) وإذا بالقادم يحمل معه صدقات قومه فيقول الناس لأبى بكر: طالما بشرتنا

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/٦٥).

(٢، ٣، ٤) نفس المصدر السابق (٤/٦٦).

بالخير[1]، وخلال هذه البشائر التى تحمل معها بعض العزاء وشيئًا من الثراء، عاد أسامة ابن زيد بجيشه ظافراً، وصنع كل ما كان الرسول قد أمره به وما أوصاه به أبو بكر الصديق[2]، فاستخلفه أبو بكر على المدينة وقال له ولجنده: أريحوا وأريحوا ظهركم[3]، ثم خرج فى الذين خرجوا إلى ذى القصة والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظهر، فقال له المسلمون: ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تُعرض نفسك! فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو، فابعث رجلاً فإن أصيب أمّرت آخر فقال: لا والله لا أفعل ولأواسينَّكم بنفسى[4].

لقد ظهر معدن الصديق النفيس فى محنة الردة على أجلى صورة للقائد المؤمن الذى يفتدى قومه بنفسه، فالقائد فى فهم المسلمين قدوة فى أعماله، فكان من آثار هذه السياسة الصديقية أن تقوَّى المسلمون وتشجعوا لحرب عدوهم واستجابوا لتطبيق الأوامر الصادرة إليهم من القيادة[5]، لقد خرج الصديق فى تعبيته إلى ذى حُسَى وذى القصة والنُعمان وعبد الله وسُويد على ماكانوا عليه، حتى نزل على أهل الرَّبَذة بالأبرق فهزم الله الحارث وعوفًا وأخذ الحطيئة أسيراً، فطارت عبس وبنو بكر، وأقام أبو بكر على الأبرق أياماً وقد غلب بنو ذبيان على البلاد. وقال: حرام على ذبيان أن يتملكوا هذه البلاد إذ غنمناها الله وأجلاها، فلما غلب أهل الردة ودخلوا فى الباب الذى خرجوا منه وسامح الناس جاءت بنو ثعلبة، وهى كانت منازلهم لينزلوها فمنعوا منها فأتوه فى المدينة فقالوا: علام نمنع من نزول بلادنا! فقال: كذبتم ليست لكم ببلاد ولكنها مَوهبى ونَقَذى[6]، ولم يُعتبهم[7]، وحمى الأبرق لخيول المسلمين، وأرعى سائر بلاد الرَّبَذة الناس على بنى ثعلبة، ثم حماها كلها لصدقات المسلمين لقتال كان وقع بين الناس وأصحاب الصدقات، وقال فى يوم الأبرق زياد بن حنظلة:

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/٦٧).

(٢) الصديق أول الخلفاء للشرقاوى، ص٧٥.

(٣) تاريخ الطبرى (٤/٣٧).

(٤) نفس المصدر السابق، (٤/٦٧).

(٥) حركة الردة للعتوم، ص٣١٩.

(٦) النقذ: ما استنقذ من الأعداء.

(٧) أى: لم يقل عثرتهم.

ويوم بالأبارق قـــد شـــهـــدنا ... على ذبيـــان يلتـــهب التِـــهـــابا

أتيـناهـم بداهيـــــةٍ نَسُـــوفٍ(١) ... مع الصـــديق إذ ترك العِـتـــابَا(٢)

وهكذا يتعلم المسلمون من سيرة الصديق بأنه لم يكن يرغب بنفسه عن نفوس أتباعه بأى أمر من أمور الدنيا، وما اضطربت أمور المسلمين منذ زمن إلا لأنهم كانوا يعدون الرئاسة وسيلة للجاه وباباً لجلب المغانم ودرء المغارم، وإيثاراً للعافية والاكتفاء بالكلمات تزجى من وراء أجهزة الإعلام أو من غرف العمليات، بعيداً عن المشاركة مشاركة حقيقية فى قضايا الأمة المختلفة(٣).

إن خروج الصديق رضى الله عنه للجهاد ثلاث مرات متتالية يعتبر تضحية كبيرة وفدائية عالية، فقد ناشده المسلمون أن يبقى فى المدينة ويبعث قائداً على الجيش فلم يقبل بل قال: لا والله لا أفعل ولأواسينَّكم بنفسى. وهذا يدل علي تواضعه الجمّ واهتمامه الكبير بمصلحة الأمة، وتجرده من حظ النفس، وقد أصبح بذلك قدوة صالحة لغيره، فلا شك أن خروجه للجهاد ثلاث مرات متتاليات وهو الشيخ الذى بلغ الستين من عمره، قد أعطي بقية الصحابة دفعات قوية من النشاط والحيوية(٤).

وقد جاء فى إحدى هذه الروايات أن ضرار بن الأزور حينما أخبر أبا بكر الصديق بخبر تجمع طليحة الأسدى قال: فما رأيت أحداً - ليس رسول الله - أملأ بحرب شعواء من أبى بكر، فجعلنا نخبره ولكأنما نخبر بما له ولا عليه(٥).

وهذا وصف بليغ لما كان يتصف به أبو بكر من اليقين الراسخ والثقة التامة بوعد الله تعالى لأوليائه بالنصر على الأعداء والتمكين فى الأرض، فأبو بكر لم يَفُق الصحابة بكبير عمل، وإنما فاقهم بحيازة الدرجات العلى من اليقين رضى الله عنهم أجمعين(٦).

وقد روى أنه لما قيل له: لقد نزل بك ما لو نزل بالجبال لهاضها وبالبحار لغاضَها وما نراك ضعفت. فقال: ما دخلى قلبى رعب بعد ليلة الغار، فإن النبى ﷺ لما رأى حزنى

---

(١) أى: شاقة.

(٢) أى: ترك إقالة العثرات؛ تاريخ الطبرى (٤/٦٧).

(٣) حركة الردة للعتوم، ص٣٢١.

(٤، ٥، ٦) التاريخ الإسلامى للحميدى (٩/٤٨).

قال: لا عليك يا أبا بكر فإن الله قد تكفل لهذا الأمر بالتمام[1]، فكان له رضى الله عنه مع الشجاعة الطبيعية شجاعة دينية وقوة يقينية فى الله عز وجل وثقة بأن الله ينصره والمؤمنين، وهذه الشجاعة لا تحصل إلا لمن كان قوى القلب، وتزيد بزيادة الإيمان وتنقص بنقص ذلك، فقد كان الصديق أقوى قلبًا من جميع الصحابة لا يقاربه فى ذلك أحد منهم[2].

* * *

(١) أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، ص٦٩ وليس هذا بلفظ نبوى.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٧٠.

المبحث الثالث
الهجوم الشامل على المرتدين

تمهيد :

تعددت وسائل وطرق التصدى والمواجهة للمرتدين، فكان للثابتين دور فى مواجهة أقوامهم، فوقف بعض الثابتين فى وجه أقوامهم واعظين لهم ومنبهين إلى خطورة ما هم مقدمون عليه من نقض ما يؤمنون به، وكانت الخطوة الأولى بالكلمة، ولم تكن الكلمة فى يوم من الأيام هى أضعف المواقف وإنما هى أقواها، لأنها تستتبع مواقف جادة لتحديد مصداقية الكلمة، وقد تؤدى الكلمة بصاحبها إلى الذبح من أجل الشهادة للكلمة التى قالها، ففى كل قبيلة حصلت فيها ردة كانت هناك بعض المواقف للذين انفعلت قلوبهم للحق وتغذت به وعاشت عليه، هى التى رأت باطل ما يفعله كل قوم، ولهذا وقفوا لهم بالمرصاد يحذرون أقوامهم من سوء المصير الذى ينتظرهم، فما كان من قومهم إلا أن وقفوا فى وجوههم ساخرين مستهزئين، ثم تمادوا إلى مطاردتهم وإخراجهم بل وقتلهم فى بعض الأحيان، ونجح بعضهم بالكلمة كعدى بن حاتم مع قومه والجارود مع أهل البحرين[1]، وسترى تفاصيل ذلك بإذن الله، وعندما فشل بعض المسلمين فى وعظ أقوامهم تحولوا إلى تجمعات مسلمة ثابتة على إسلامها، واتخذت لها الموقف المناسب ضد أقوامهم المرتدين، وكثير من المواقف بدأت بالكلمة ثم انتهت إلى العمل، كما حصل لمن ثبت من بنى سليم فقد حذرهم قومهم فانقسموا إلى قسمين ثابت ومرتد.

فتجمع الثابتون وصاروا يجالدون قومهم المرتدين، وقام الأبناء فى اليمن سراً بتدبير قتل الأسود العنسى – كما سيأتى تفصيله – بعد أن كان موقفهم سلبياً فى بطش الأسود العنسى، ووقف مسعود أو مسروق القيسى ابن عابس الكندى ينصح الأشعث ابن قيس ويدعوه لعدم الردة، ودخل بينهما حوار طويل وتحد متبادل، وهكذا صارت بعض المواقف سبباً فى إرجاع قومهم عن الردة، أو فى تسهيل مهمة جيوش الدولة الإسلامية القادمة للقضاء على الردة[2].

---

(١) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة للشجاع ، ص (٣١٣، ٣١٤).

(٢) نفس المصدر السابق، ص٣١٤ ولقد اعتمد الشجاع على كتاب الكلاعى الأندلسى فى الردة.

لقد اعتمدت سياسة الصديق فى القضاء على الردة على الله تعالى، ثم على ركائز قوية من القبائل والزعماء والأفراد الذين انبثوا فى جميع أنحاء الجزيرة العربية وثبتوا على إسلامهم، وقاموا بأدوار هامة ورئيسية فى القضاء على فتنة الردة، ولقد أخطأ بعض الكتاب عندما تناول فتنة الردة بشيء من التعميم أو عدم الدقة أو عدم الموضوعية أو سوء الفرض أو النظرة الجزئية(١).

إن من الحقائق الأساسية حول هذه الفتنة أنها لم تكن شاملة لكل الناس كشمولها الجغرافى، بل إن هناك قادة وقبائل وأفراداً وجماعات، وأفرادا تمسكوا بدينهم فى كل منطقة من المناطق التى ظهرت فيها الردة(٢)، ولقد قام الدكتور مهدى رزق الله أحمد بدراسة عميقة وأجاب عن سؤال طرحه وهو: هل كانت الردة فى عهد الخليفة أبى بكر رضى الله عنه شاملة لكل القبائل العربية والأفراد والزعماء الذين كانوا مسلمين؟ أم أن هذه الفتنة قد وقعت فيها بعض القبائل وبعض الزعماء وبعض الأفراد فى مناطق جغرافية مختلفة؟ وبعد البحث قال: إن أول حقيقة تستخلص من المصادر التى أشرت إليها سابقًا: هى أننى لم أجد ما يدل على أن القبائل والزعماء والأفراد قد ارتدوا جميعًا عن الإسلام كما ذكر أولئك النفر الذين جعلناهم مثالاً(٣)، بل وجدت أن الدولة الإسلامية اعتمدت على قاعدة صلبة من الجماعات والقبائل والأفراد الذين ثبتوا على الإسلام، وانبثوا فى جميع أنحاء الجزيرة، وكانوا سنداً قوياً للإسلام ودولته فى قمع حركة المرتدين منهم(٤).

---

(١) الثابتون على الإسلام أيام فتنة الردة، ص٤.

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٩.

(٣) التاريخ السياسى للدولة العربية للدكتور عبدالمنعم ماجد ص ١٤٦؛ التاريخ الإسلامى العام – الجاهلية: الدولة العربية الدولة العباسية على إبراهيم حسن ص٢١٩؛ تاريخ الدولة العربية السيد عبدالعزيز سالم ص٤٣٢؛ جولة تاريخية فى عصر الخلفاء الراشدين الدكتور محمد السيد الوكيل ص٢١؛ الخلفاء الراشدون محمد أسعد طلس ص ٢٠، أبو بكر الصديق لعلى الطنطاوى ص ١٦؛ إتمام الوفاء فى سير الخلفاء محمد الخضرى بك ص٢١؛ عصر الصديق شبير أحمد محمد على الباكستانى ص ١٥٩؛ ظاهرة الردة فى المجتمع الإسلامى الأول محمد بريغش ص (١٠٠، ١٠١)؛ الصديق أبو بكر لمحمد حسين هيكل ص ١٧٣.

(٤) الثابتون على الإسلام أيام فتنة الردة، ص ١٩.

أولاً: المواجهة الرسمية من الدولة:

١ - وسيلة الإحباط من الداخل:

كان رسول الله ﷺ قد استعمل هذه الوسيلة، فقام بمراسلة وبعث الرسل إلى قبائل المتنبئين لتجميع الثابتين على الإسلام، وليشكل بهم جماعة تحارب الردة، وسار الصديق رضى الله عنه على نفس المنهج، وحاول أن يحجم ويقضى على ما يمكن القضاء عليه من بؤر المرتدين، وقام بالتوعية ضدها والتخذيل منها وتنفير الناس عنها، واستطاع أن يتصل بالثابتين على الإسلام وجعل منهم رصيداً للجيوش المنظمة، فقد كان يعد الأمة لمواجهة منظمة مع المرتدين بعد عودة جيش أسامة، فقد راسل الصديق زعماء الردة والثابتين على الإسلام ليحقق بعض الأهداف ككسب الوقت حتى يرجع جيش أسامة فكتب إلى من كتب إليهم رسول الله ﷺ باليمن وغيرها[١]، ليبذلوا جهدهم لدعوة الثابتين إلى الإسلام، وطلب من الثابتين التجمع فى مناطق حددها لهم حتى يأتيهم أمره، وكان هذا الترتيب بداية للخطة العسكرية القادمة[٢]، وقد حالف التوفيق بعض الثابتين بالوصول إلى المدينة ومعهم صدقاتهم مثل عدى بن حاتم الطائى والزبرقان بن بدر التميمى[٣]، وتمكن الثابتون من إفشال حركة قيس بن مكشوح المرادى وبعض التجمعات القبلية فى تهامة وبلاد السراة ونجران، وقد حققت هذه الوسيلة بعض النتائج منها:

أ - نجحت خطة الصديق فى تحقيق حملات التوعية والدعاية والتعضيد للمسلمين والتخذيل لقوى المرتدين؛ تمهيداً لاتخاذ الوسيلة الأخرى حينما تتوافر لها الإمكانات: وهى أداة الجيوش المنظمة.

ب - أنها حققت أغراضها من حيث التربية وإعداد الثابتين على الإسلام ليكونوا قواداً فى حركة الفتوح الإسلامية فيما بعد: كعدى بن حاتم الطائى أحد قواد فتوح العراق.

ج - تكوين قوى مسلمة مرابطة فى بعض المراكز التى حددها لهم الصديق لتنضم بعد ذلك إلى الجيوش القادمة.

(١، ٢) دراسات فى عهد النبوة للشجاع، ص٣١٩.

(٣) نفس المصدر السابق، ص ٣١٩ نقل عن الكلاعى: تاريخ الردة، ص (١٠ - ١٢).

د – القضاء على بعض مناطق الردة ولو بمحدودية ضيقة مثلما حصل فى جنوب الجزيرة العربية.

٢ – إرسال الجيوش المنظمة:

لما وصل جيش أسامة بعد شهرين وقيل أربعين يومًا – من مسيرهم واستراحوا، خرج أبو بكر الصديق بالصحابة رضى الله عنهم إلى (ذى القَصَّة) وهى على مرحلة من المدينة، وذلك لقتال المرتدين والمتمردين، فعرض عليه الصحابة أن يبعث غيره على القيادة وأن يرجع إلى المدينة ليتولى إدارة أمور الأمة، وألحُّوا عليه بذلك، ومما رُوى في هذا الموضوع ما قالته عائشة: خرج أبى شاهرًا سيفه راكبًا راحلته إلى وادى ذى القصة، فجاء على بن أبى طالب رضى الله عنه فأخذ بزمام راحلته، فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد[١]، شِمْ سيفك ولا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبدًا، فرجع[٢]، وقد قسم أبو بكر الجيش الإسلامى إلى أحد عشر لواء وجعل على كل لواء أميرًا[٣]، وأَمَرَ كل أمير جند باستنفار من مرَّ به من المسلمين التابعين من أهل القرى التى يمر بها وهم:

١ – جيش خالد بن الوليد إلى بنى أسد ثم إلى تميم ثم إلى اليمامة.

٢ – جيش عكرمة بن أبى جهل إلى مسيلمة فى بنى حنيفة، ثم إلى عمان والمهرة فحضرموت فاليمن.

٣ – جيش شُرَحْبِيل بن حَسَنة إلى اليمامة فى إثر عكرمة، ثم حضرموت.

٤ – جيش طُرَيْفَةَ بن حَاجِر إلى بنى سليم من هوازن.

٥ – جيش عمرو بن العاص إلى قضاعة.

٦ – جيش خالد بن سعيد بن العاص إلى مشارف الشام.

٧ – جيش العَلاَء بن الحَضْرمى إلى البحرين.

٨ – جيش حذيفة بن محصن الغلفائى إلى عمان.

---

(١) يقصد قوله لأبى بكر لما أراد أن يبارز ابنه عبدالرحمن: «شم سيفك وارجع إلى مكانك».

(٢) البداية والنهاية (٦/٣١٩).

(٣) التاريخ الإسلامى (٩/٤٩).

٩ – جيش عرفجة بن هرثمة إلى مهرة.

١٠ – جيش المهاجر بن أبى أمية إلى اليمن (صنعاء ثم حضرموت).

١١ – جيش سويد بن مقرن إلى تهامة اليمن[١].

وهكذا اتخذت قرية (ذى القَصَّة) مركز انطلاق أو قاعدة تحرك للجيوش المنظمة التى ستقوم بالتحرك إلى مواطن الردة للقضاء عليها، وتنبىء خطة الصديق رضى الله عنه عن عبقرية فذة وخبرة جغرافية دقيقة[٢]، ومن خلال تقسيم الألوية وتحديد المواقع يتضح أن الصديق رضى الله عنه كان جغرافيًا دقيقًا خبيرًا بالتضاريس والتجمعات البشرية وخطوط مواصلات جزيرة العرب، فكأن الجزيرة العربية صورت مجسمًا واضحًا نصب عينيه فى غرفة عمليات مجهزة بأحدث وسائل التقنية، فمن يتمعَّن تسيير الجيوش ووجهة كل منها واجتماعها بعد تفرّقها وتفرقها لتجتمع ثانية، يرى تغطية سليمة رائعة صحيحة مثالية لجميع أرجاء الجزيرة مع دقة فى الاتصال مع هذه الجيوش، فأبو بكر فى كل ساعة يعلم أين مواقع الجيوش ويعلم دقائق أمورها وتحركاتها وما حققت، وما عليها فى غدٍ من واجبات، والمراسلات دقيقة وسريعة تنقل أخبار الجبهات إلى مقرٍّ القيادة فى المدينة حيث الصديق، وكان على صلة مستمرة مع جيوشه كلها، وبرز من المراسلين العسكريين ما بين الجبهات وبين مقرٍّ القيادة: أبو خيثمة النَّجَّارى الأنصارى وسلمة بن سلامة وأبو برزة الأسلمى وسلمة بن وقش[٣].

وكانت الجيوش التى بعثها الصديق متماسكة وهى أحد إنجازات الدولة الهامة، إذ جمعت تلك الجيوش بين مهارة القيادة وبراعة التنظيم فضلاً عن الخبرة فى القتال، صهرتها الأعمال العسكرية فى حركة السرايا والغزوات التى تعدى بعضها شبه الجزيرة فى زمن النبى ﷺ، فقد كان الجهاز العسكرى لدولة الصديق متفوقًا على كل القوى العسكرية فى الجزيرة[٤]، وكان القائد العام لهذه الجيوش سيف الله المسلول خالد بن الوليد صاحب العبقرية الفذة فى حروب الردة والفتوحات الإسلامية، كان هذا التوزيع

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٦٨)؛ دراسات فى عصر النبوة، ص ٣٢١.

(٢) دراسات فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين، ص ٣٢١.

(٣) فى التاريخ الإسلامى، شوقى أبو خليل، ص (٢٢٦، ٢٢٧).

(٤) من دولة عمر إلى دولة عبدالملك، إبراهيم بيضون، ص ٢٨.

للجيوش وفق خطة استراتيجية هامة مفادها أن المرتدين لازالوا متفرقين، كلٌّ فى بلده، ولم يحصل منهم تحزب ضد المسلمين بالنسبة للقبائل الكبيرة المتباعدة فى المكان أولاً، لأن الوقت لم يكن كافيًا للقيام بعمل كهذا، حيث لم يمضِ على ارتدادهم إلا ما يقرب من ثلاثة شهور، وثانيًا لأنهم لم يدركوا خطر المسلمين عليهم وأنهم باستطاعتهم أن يكتسحوهم جميعًا فى شهور معدودة، ولذلك أراد الصديق أن يعاجلهم بضربات مفاجئة تقضى على شوكتهم وقوتهم قبل أن يجتمعوا فى نصرة باطلهم(١)، فعالجهم قبل استفحال فتنتهم، ولم يترك لهم فرصة يطلون منها برؤوسهم ويمدون ألسنتهم يلذعون بها الجسم الإسلامى وبذلك طبق الحكمة القائلة:

لا تقطَعَنْ ذنب الأفعى وترسلها ... إن كنت شهمًا فأتبع رأسها الذنب(٢)

فقد أدرك حجم الحدث وأبعاده ومدى خطورته، وعلم أنه إن لم يفعل كذلك فسيوشك الجمر أن ينتفض من تحت الرماد فيحرق الأخضر واليابس، كما قال الأول:

أرى تحت الرماد ومِيض نار ... ويوشك أن يكون لها ضرام (٣)

فقد كان رضى الله عنه السياسى الماهر والعسكرى المحنَّك الذى يقدر الأمور ويضع لها الخطط المباشرة.

انطلقت الألوية التى عقدها الصديق ترفرف عليها أعلام التوحيد، مصحوبة بدعوات خالصة من قلوب تعظم المولى عز جل وتشربت معانى الإيمان، ومن حناجر لم تلهج إلا بذكر الله تعالى، فاستجاب الله جل وعلا هذه الدعوات النقية، فأنزل عليهم نصره وأعلى بهم كلمته وحمى بهم دينه،حتى دانت جزيرة العرب للإسلام فى شهور معدودة(٤).

هذا وقد كتب أبو بكر الصديق كتابًا واحدًا إلى قبائل العرب من المرتدين والمتمردين فدعاهم إلى العودة إلى الإسلام وتطبيقه كاملاً، كما جاء من عند الله تعالى ثم حذرهم من سوء العاقبة فيما لو ظلوا على ما هم عليه فى الدنيا والآخرة، وكان قويًا فى إنذارهم،

---

(١) التاريخ الإسلامى (٩/٥١).

(٢) حركة الردة، ص ٣١٢ للعتوم.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٣١٣.

(٤) التاريخ الإسلامى (٩/٥١).

وهذا هو المناسب لشدة انحرافهم وقوة تصلبهم فى التمسك بباطلهم، فكان لابد من إنذار شديد يتبعه عمل جرىء قوى لإزالة الطغيان الذى عشَّش فى أفكار زعماء تلك القبائل، والعصبية العمياء التى سيطرت على أفكار أتباعهم(١).

٣ - نص الخطاب الذى أرسله للمرتدين والعهد الذى كتبه للقادة:

بعد التنظيم الدقيق، وحسن الإعداد للجيوش الإسلامية التى عقد لها الصديق الألوية نجد الدعوة البيانية القولية تطل لتقوم بدورها وتدلى بدلوها، فقد حرر الصديق كتاباً عامًا ذا مضمون محدد، سعى إلى نشره على أوسع نطاق ممكن فى أوساط من ثبتوا على الإسلام ومن ارتدوا عنه جميعًا، قبل تسيير قواته لمحاربة الردة، وبعث رجالاً إلى محل القبائل، وأمرهم بقراءة كتابه فى كل مجتمع، وناشد من يصله مضمون الكتاب بتبليغه لمن لم يصل إليه، وحدد الجمهور المخاطب به بأنه: العامة والخاصة من أقام على إسلامه أو رجع عنه(٢)، وهذا نص الكتاب الذى بعثه الصديق:

بسم الله الرحمن الرحيم: من أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابى هذا من عامة وخاصة أقام على إسلامه أو رجع عنه: سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، نُقرُّ بما جاء به ونكفر من أبى ونجاهده، أما بعد فإن الله تعالى أرسل محمداً بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً لينذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين، فهدى الله بالحق من أجاب إليه وضرب رسول الله ﷺ بإذنه(٣) من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعًا وكَرهًا، ثم توفى الله رسوله ﷺ وقد نفذ لأمر الله ونصح لأمته وقضى الذى عليه، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام فى الكتاب الذى أنزل قال: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ [الزمر: ٣٠] وقال: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٤] وقال للمؤمنين: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٤] فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله

---

(١) التاريخ الإسلامى (٩/٥٥).

(٢) الدور السياسى للصفوة فى صدر الإسلام، السيد عمر، ص٢٦٢.

(٣) بإذن الله تعالى.

وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد، حى قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمره منتقم من عدوه، بحزبه، وإنى أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله، وما جاءكم به نبيكم ﷺ، وأن تهتدوا بهُداه وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من لم يعافه مُبتلى؛ وكل من لم يُعنه الله مخذول، فمن هداه الله كان مهتديًا ومن أضله كان ضالاً، قال الله تعالي: ﴿ **مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا** ﴾ [الكهف: ١٧]، ولم يقبل منه فى الدنيا عمل حتى يُقّر به ولم يقبل منه فى الآخرة صرف ولا عدل، وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقرَّ بالإسلام وعمل به اغتراراً بالله وجهالة بأمره وإجابة للشيطان، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً** ﴾ [الكهف: ٥٠] وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [فاطر: ٦] وإنى بعثت إليكم فلانًا فى جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقر وكفَّ وعمل صالحًا قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك ثم لا يُبقى على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة، وأن يسبى النساء والذرارى ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن تبعه فهو خير له ومن تركه فلن يُعجز الله، وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم والداعية الأذان: فإذا أذن المسلمون فأذّنوا كفوا عنهم، وإن لم يؤذّنوا عاجلوهم، وإن أذّنوا اسألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقرُّوا قبل منهم وحملهم على ما ينبغى لهم(١).

ونلحظ فى خطاب أبى بكر أنه كان يدور حول محورين:

أ – بيان أساس مطالبة المرتدين بالعودة إلى الإسلام.

ب – بيان عاقبة الإصرار على الردة(٢).

وقد أكد الكتاب على عدة حقائق هى:

- أن الكتاب موجه إلى العامة والخاصة ليسمع الجميع دعوة الله.

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٦٩، ٧٠، ٧١).

(٢) الدور السياسى للصفوة فى صدر الإسلام، ص ٢٦٢.

● بيان أن الله بعث محمداً بالحق فمن أقرَّ به كان مؤمنًا، ومن أنكر كان كافراً يُجاهد ويُقاتل.

● بيان أن محمداً بشر قد حق عليه قول الله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ وأن المؤمن لا يعبد محمداً ﷺ وإنما يعبد الله الحي الباقي الذي لايموت أبداً، ولذلك لا عذر لمرتد(١).

● إن الرجوع عن الإسلام جهل بالحقيقة واستجابة لأمر الشيطان وهذا يعنى أن يتخذ العدو صديقًا، وهو ظلم عظيم للنفس السوية، إذ يقودها صاحبها بذلك إلى النار عن طواعية.

● إن الصفوة المختارة من المسلمين وهم المهاجرون والأنصار وتابعوهم، هم الذين ينهضون لقتال المرتدين غيرة منهم على دينهم وحفاظًا عليه من أن يهان.

● إن من رجع إلى الإسلام وأقر بضلاله وكف عن قتال المسلمين وعمل من الأعمال ما يتطلبه دين الله، فهو من مجتمع المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم.

● إن من يأبى الرجوع إلى صف المسلمين ويثبت على ردته، إنما هو محارب لابد من شن الغارة عليه: تقتله أو تحرقه وتسبى نساءه وذراريه، ولن يعجز الله بأية حال، لأنه أنى ذهب فى ملكه.

● إن الشارة التى ينجو بها المرتدون من غارة المسلمين أن يعلن فيهم الأذان وإلا فالمعالجة بالقتال هى البديل(٢)، وحتى لا يترك الخليفة الأمر للقادة والجند بغير انضباط كتب للقواد جميعًا كتابًا واحداً يدعوهم فيه إلى الالتزام بمضمون كتابه السابق هذا نصه:..

هذا عهد من أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقى الله ما استطاع فى أمره كله سره وعلانيته وأمره بالجد فى أمر الله ومجاهدة من تولى عنه، ورجع عن الإسلام إلى أمانى الشيطان، بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شنَّ غارته عليهم حتى يقرُّوا له، ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم، فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذى لهم، لا يُنظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلى أمر

---

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٩٠.

(٢) حركة الردة للعتوم، ص(١٧٦، ١٧٧).

الله عز وجل وأقرَّ له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يتقبل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل، وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به، ومن لم يجب داعية الله قُتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغَمهُ، لا يقبل من أحد شيئًا أعطاه إلا الإسلام، فمن أجابه وأقرَّ قبل منه وعلمه ومن أبى قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسم ما أفاء الله عليهم إلا الخُمس فإنه يبلغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد وألا يُدخل فيهم حَشوًا حتي يعرفهم ويعلم ما هم لا يكونوا عيونًا، ولئلا يُؤتى المسلمون من قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم فى السير والمنزل ويتفقدهم، ولا يُعجِل بعضهم عن بعض، ويستوصى بالمسلمين فى حسن الصحبة ولين القول(١).

وفى هذا العهد الذى ألزم به قوَّاده يظهر حرص الصديق على إلزام أمرائه فى حرب الردة بتعليمات أساسية مكتوبة موحدة نصت بوضوح لا يحتمل اللبس على حظر القتال قبل الدعوة إلى الإسلام، والإمساك عن قتال من يجيب، والحرص على إصلاحهم، وحظر مواصلة القتال بعد أن يقروا بالإسلام والتحول عند هذه النقطة من القتال إلى تعليمهم أصول الإسلام وتبصيرهم بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات وحظر المهادنة أو رد الجيش عن محاربة المرتدين ما لم يفيئوا إلى أمر الله.

والتزم الجيش الإسلامى فى التنفيذ مبدأ الدعوة قبل القتال والإمساك عن القتال بمجرد إجابة الدعوة باعتبار أن الغاية الوحيدة هى عودة المرتدين إلى الذى خرجوا منه وتلمسًا لتحقيق أقصى درجة من التوافق فى صفوف القوات الإسلامية التى نيط بها القضاء على ظاهرة الردة، أمضى الصديق هذا العهد مع أمراء الجيوش الإسلامية يطلب من الجيش أن يكون سلوكه ذاته خير دعوة للمهمة المسندة إليه وأن يتطابق تمامًا مع هدف واحد هو الدفاع عن الإسلام(٢).

إن اقتداء أبى بكر رضى الله عنه برسول الله ﷺ، علمه فن القيادة ونجاح القائد فى قيادته يتوقف على مدى نجاحه فى جنديته، ولقد كان أبو بكر نعم الجندى فى جيش المسلمين مخلصًا فى ولائه لرسول الله ﷺ، يطبق ما يقوله بحذافيره مضحيًا فى سبيله،

---

(١) تاريخ الطبرى (٤ / ٧١، ٧٢).

(٢) الدور السياسى للصفوة، ص٢٦٣.

لم يَفرَّ عنه فى معركة قط، ونستطيع أن ندرك دقة آرائه القيادية وبُعد مرماها من وصاياه لقواده وخططه العامة التى رسمها لهم أثناء تحركهم لضرب قوات العدو[١] لقد كانت أول وصية أوصاهم بها تتركز على النقاط التالية:

- أن يلزموا أنفسهم تقوى الله عز وجل ومراقبته فى السر والعلن وهذا عين الصواب فى هذه السياسة الرشيدة، لأن القائد إذا ألزم نفسه تقوى الله عز وجل كان معه ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴾ [النحل: ١٢٨].
- الجد والاجتهاد وإخلاص النية لله سبحانه وتلك أخلاق المنصورين الفائزين[٢] ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٦٩].
- أن لا يقبل من المرتدين إلا الإسلام أو القتل، إذ لا مهادنة فى أمر العقيدة.
- تقسيم الغنائم بين الجند مع الاحتفاظ بحق بيت المال منها وهو خمسها.
- أن لا يتعجلوا فى التصرف حيال القضايا التى تواجههم حتى لا تأتى حلولهم فجة.
- أن يحذروا من أن يدخل بينهم غريب ليس منهم، كيلا يكون جاسوسًا عليهم.
- أن يرفقوا بجندهم ويتفقدوهم فى المسير والنزول، وأن لا ينفرط بعضهم عن بعض.
- وأن يستوصوا بهؤلاء الجند خيرًا فى الصحبة[٣].

ويمكننا من خلال الدراسة أن نستخلص الخطة العامة بعد أن عقد الصديق الألوية لقادة الجيوش والتى تتلخص فى النقاط الآتية:

أ - ضمنت الخطة إحكام التعاون بين هذه الجيوش جميعها، بحيث لا تعمل كأنها منفصلة تحت قيادة مستقلة، وإنما هى رغم تباعد المكان جهاز واحد، وقد تلتقى - أو يلتقى بعضها ببعض - لتفترق، ثم تفترق لتلتقى، كان ذلك والخليفة بالمدينة يدير حركة القتال ومعاركه.

---

(١) حركة الردة للعتوم، ص١٧٩.

(٢) تاريخ الدعوة إلى الإسلام، ص (٢٩١، ٢٩٢).

(٣) حركة الردة للعتوم، ص ١٧٩.

ب – احتفظ الصديق بقوة تحمى المدينة – عاصمة الخلافة – واحتفظ بعدد من كبار الصحابة ليستشيرهم وليشاركوه فى توجيه سياسة الدولة.

ج – أدرك الصديق أن هناك جيوشًا من المسلمين داخل المناطق التى شملتها حركة العصيان والردة، وقد حرص على هؤلاء المسلمين من أن يتعرضوا لنقمة المشركين، ولذلك فإنه أمر قادته باستنفار من يمرون بهم من أهل القوة من المسلمين من جهة، وبضرورة تخلف بعضهم لمنع بلادهم وحمايتها من جهة أخرى.

د– طبق الخليفة مبدأ الحرب خدعة مع المرتدين، حتى أظهر أن الجيوش تنوى شيئًا، وهى فى حقيقة الأمر كانت تستهدف شيئًا آخر زيادة فى الحيطة والحذر من اكتشاف خطته[١]، وهكذا تظهر الحنكة السياسية والتجربة العملية والعلم الراسخ والفتح الربانى فى قيادة الصديق.

ثانيا :القضاء على فتنة الأسود العنسى وطليحة الأسدى ومقتل مالك بن نويرة

١ – القضاء على الأسود العنسى وردة اليمن الثانية:

اسمه: عبهلة بن كعب ويكنى بذى الخمار لأنه كان دائمًا معتمًا متخمرًا بخمار[٢]، ويعرف بالأسود العنسى لاسوداد فى وجهه، وتكمن قوة الأسود فى ضخامة جسمه وقوته وشجاعته، واستخدم الكهانة والسحر والخطابة البليغة، فقد كان كاهنًا مشعوذًا، يُرِى قومه الأعاجيب، ويسبى قلوب من سمع منطقه واستخدم الأموال للتأثير على الناس[٣].

أ– الأسود العنسى فى عهد الرسول ﷺ.

وما أن انتشر خبر مرض رسول الله ﷺ بعد مقدمه من حجة الوداع حتى ادعى الأسود العنسى النبوة وقيل: إنه أطلق على نفسه (رحمان اليمن) كما تسمى (مسيلمة) (رحمان اليمامة)[٤]، وأنه كان يدعى النبوة ولا ينكر نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وكان يزعم أن ملكين يأتيانه بالوحى وهما: سحيق وشقيق – أوشريق[٥] – وكان قبل أن

---

(١) الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن فى الإسلام، مصطفى محمود منجود، ص١٦٩.

(٢) الكامل فى التاريخ (٢/١٧).

(٣) عصر الخلافة الراشدة للعمرى، ص ٣٦٤.

(٤) اليمن فى صدر الإسلام للشجاع، ص ٢٥٦.

(٥) البدء والتاريخ (٥/١٥٤).

يظهر مخفيًا أمره يجمع حوله من يراه مناسبًا حتى فاجأ الناس بظهوره[١] وكان أول من تبعه: أبناء قبيلته وهم (عنس)[٢]، ثم كاتب زعماء قبيلة (مَذحِج) فتبعه العوام منهم[٣]، وبعض زعمائهم من طالبى الزعامة، وقد عمل على إثارة العصبية القبلية لأنه من (عنس) وهى بطن من بطون قبيلة (مذحج)، وقد راسله بنو الحارث بن كعب من أهل نجران وهم يومئذ - مسلمون - فطلبوا منه أن يأتيهم فى بلادهم، فجاءهم فاتبعوه لكونهم لم يسلموا رغبة، وتبعه أناس من (زبيد) و(أود) (مَسْلِيَة) و(حكم بنى سعد العشيرة) ثم أقام بنجران بعض الوقت، وقوى أمره بعد أن انضم إليه عمرو بن معد يكرب الزبيدى وقيس بن مكشوح المرادى. وتمكن من طرد فروة بن مسيك من مراد وعمرو بن حزم من نجران، واستهوته فكرة السيطرة على صنعاء فخرج إليها بست مئة - أو سبع مئة - فارس معظمهم من بنى الحارث بن كعب) و(عنس)[٤].

فتقابل مع أهل صنعاء وعليهم (شهر بن باذان الفارسى)، وكان قد أسلم مع أبيه - فى منطقة خارج صنعاء تسمى منطقة (شعوب)، فتقاتلوا قتالاً شديداً فقتل (شهر بن باذان) وانهزم أهل صنعاء أمام الأسود العنسى، فغلب عليها ونزل قصر (غمدان) بعد خمسة وعشرين يومًا من ظهوره[٥].

وكان له مواقف بشعة فى تعذيب المستمسكين بالإسلام، فقد أخذ أحد المسلمين ويسمى - النعمان - فقطعه عضواً عضواً[٦]، ولهذا تعامل معه المسلمون الذين كانوا فى المناطق التى يديرها بالتقية[٧].

أما بقية المسلمين خارج نطاق سيطرته فقد حاولوا التجمع وإعادة الانتظام إلى صفوفهم، فكان فروة بن مسيك المرادى قد انحاز إلى مكان يسمى (الأحسية)[٨]، وانضم إليه من انضم من المسلمين، وكتب إلى رسول الله ﷺ بخبر الأسود العنسى فكان

---

(١) اليمن فى صدر الإسلام، ص٢٥٧.

(٢) فتوح البلدان للبلاذرى (١/١٢٥).

(٣، ٤) تاريخ الردة للكلاعى، ص (١٥١، ١٥٢).

(٥) البدء والتاريخ (٥/٢٢٩).

(٦) ابن سعد فى الطبقات (٥/٥٣٥).

(٧) اليمن فى صدر الإسلام للشجاع، ص ٢٥٨.

(٨) الأحسية: موضع باليمن، انظر: ياقوت: المعجم (١/١١٢).

أول من أبلغ الرسول ﷺ بذلك، وانحاز كل من أبى موسى الأشعرى، ومعاذ بن جبل إلى حضرموت فى جوار (السَّكاسك والسَّكون)[١].

وقد راسل رسول الله ﷺ الثابتين على الإسلام لمواجهة ردة الأسود، وأمرهم بالسعى للقضاء عليه إما مصادمة أو غيلة، ووجه كتبه ورسله إلى بعض زعماء (حمير) و(همدان) بأن يتكاتفوا ويتوحدوا ويساعدوا (الأبناء)[٢] ضد (الأسود العنسى) فأرسل (وبر بن يخنس) إلى (فيروز الديلمى وجُشَيْش الديلمى وداذويه الإصطخرى) وبعث (جرير البجلى) إلى (ذى الكلاع وذى ظليم) الحميريين، وبعث (الأقرع بن عبدالله الحميرى) إلى (ذى زود وذى مران) الهمدانيين، وكذلك كتب إلى أهل نجران من الأعراب وساكنى الأرض من غيرهم[٣]، وبعث (الحارث بن عبدالله الجهنى) إلى اليمن قبيل وفاته، فبلغته وفاة الرسول ﷺ وهو فى اليمن[٤]، ولم تبين المصادر إلى أين بعث، إلا أنه من الممكن أنه بعث إلى (معاذ بن جبل) لأنه تلقى كتابًا من رسول الله ﷺ يأمره فيه بأن يبعث الرجال لمجاولة ومصاولة (الأسود العنسى) للقضاء عليه[٥]، كما تلقى (أبو موسى الأشعرى) و(الطاهر بن أبى هالة) كتابًا من رسول الله ليواجهوا (الأسود) بالغَيْلَة أو المصادمة[٦]، وكان لهذا العمل من جانب الرسول ﷺ أثر كبير، فقد تماسك من بعث إليهم فى حياته وبعد موته، فلم يُعْهَد عنهم أنهم ارتدوا أو تزلزلوا، فقد كتب زعماء (حمير) وزعماء (همدان) إلى الأبناء باذلين لهم العون والمساعدة، وفى الوقت نفسه تجمع أهل (نجران) فى مكان واحد للتصدى لأى حركة من جانب (الأسود العنسى)، وحينئذ أيقن هذا أنه إلى هلاك[٧].

وظلت المكاتبات تتوالى بين (الهمدانيين) و(الحميريين) وبين (معاذ بن جبل) وبعض الزعماء اليمنيين، ومن المحتمل أن بعض المكاتبات تمت بين (الأبناء) وبين (فروة

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/٤٩، ٥٠).
(٢) اليمن فى صدر الإسلام، ص ٢٧١.
(٣) تاريخ الطبرى (٤/٥٢).
(٤) اليمن فى صدر الإسلام، ص ٢٧١.
(٥) نفس المصدر السابق، ص٢٧٢.
(٦) تاريخ الطبرى (٤/٥١).
(٧) اليمن فى صدر الإسلام، ص٢٧٢.

ابن مسيك) لأنه كان له دور فى قتل (الأسود العنسى)[١]، ولكن كان أول من اعترض على (العنسى) هو (عامر بن شهر الهمدانى).

وهكذا تجمعت كل قوى الإسلام فى اليمن للقضاء على (الأسود العنسى)، ويظهر أنهم كانوا مجمعين على أن يقوموا بمقتله، لعلمهم أنه بمجرد أن يقتل لن يبقى لأتباعه أى كيان فيسهل التخلص منهم حينئذ، ولهذا وافقوا على خطة (الأبناء) بأن لا يقوموا بأى شىء حتى يبرموا الأمر من داخلهم.

واستطاع (الأبناء) فيروز وداذويه أن يتفقا مع (قيس بن مكشوح المرادى) – وكان قائد جند العنسى – للتخلص من (الأسود العنسى) لأنه كان على خلاف معه، ويخشى أن يتغير عليه[٢]، وقد ضموا إلى صفهم زوجة (الأسود العنسى) (آزاد الفارسية) والتى كانت زوج شهر بن باذان وابنة عم فيروز الفارسى، فقد اغتصبها كذَّاب اليمن بعد أن قتل زوجها، فهبت لإنقاذ دينها من براثن وحوش الجاهلية بكل عزم وتصميم، فدبرت مع المسلمين المناوئين للأسود خطة اغتيال هذا الطاغية المتأله[٣]، ومهدت لهم السبيل لقتله على فراش نومه[٤]، وحينما قتل (الأسود) ألقى برأسه بين أصحابه فانتابهم الرهبة وعمهم الخوف، ففروا هاربين[٥].

وأتى الخبر النبى ﷺ من السماء الليلة التى قتل فيها العنسى ليبشرنا فقال: «**قُتل العنسى البارحة قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين**» قيل: ومن هو؟ قال: «**فيروز**»[٦].

وقد فصل خطة اغتيال الأسود العنسى الدكتور صلاح الخالدى فى كتابه: «صور من جهاد الصحابة.. عمليات جهادية خاصة تنفذها مجموعة خاصة من الصحابة»[٧]. وظل أمر (صنعاء) مشتركًا بين (فيروز وداذويه وقيس بن مكشوح) إلى أن جاء

---

(١) اليمن فى صدر الإسلام، ص٢٧٢.

(٢) نفس المصدر السابق، ص (٢٧٢، ٢٧٣).

(٣) حركة الردة للعتوم، ص٣٠٩.

(٤، ٥) اليمن فى صدر الإسلام، ص ٢٧٣.

(٦) تاريخ الطبرى (٤/ ٥٥).

(٧) صور من جهاد الصحابة للخالدى، ص (٢١١ – ٢٢٨).

معاذ بن جبل إلى (صنعاء)، فارتضوا أن يكون هو الأمير عليهم، ولكنه لم يمكث إلا ثلاثة أيام يصلى بهم حتى بلغهم خبر وفاة رسول الله ﷺ[1]، وكانت تفاصيل مقتل (العنسى) قد خرجت من صنعاء فوصلت إلى الصديق بعد أن خرج جيش أسامة وكان هذا أول فتح أتى أبا بكر وهو فى المدينة[2].

ب - وعين أبو بكر (فيروز الديلمى) واليًا على صنعاء وكتب إليه بذلك، ولم يول (أبو بكر) (قيسًا) لأنه كان ممن مالأ الأسود العنسى وتابعه مخلصًا - عصبية لمذحج أو رغبة فى الزعامة - وكان مبدأ أبى بكر عدم الاستعانة بمن ارتد[3]، وجعل كل من داذويه وجشيش وقيس بن مكشوح مساعدين لفيروز، فتغيرت نفس قيس بن مكشوح المرادى فعمل على قتل زعماء الأبناء الثلاثة، وقد تمكن من قتل (داذويه) سواء بنفسه أو بإيعاز منه - فتنبه لذلك (فيروز) فهرب إلى أخواله فى (خولان)[4]، فما كان من قيس إلا أن أثارها عصبية جنسية فحاول جمع زعماء بعض القبائل ضد (الأبناء) مدعيًا أنهم متحكمون فيهم، وأنه يرى قتل رؤسائهم وإجلاء بقيتهم، ولكن أولئك الزعماء وقفوا على الحياد فلم ينحازوا إليه ولا إلى الأبناء، وقالوا له: أنت صاحبهم وهم أصحابك، فلما يئس منهم عاد فكاتب فلول (الأسود العنسى) سواء الذين بقوا متذبذبين بين صنعاء ونجران أو ممن انحاز إلى لحج، فطلب منهم الالتقاء بهم ليكونوا - جميعًا - على أمر واحد وهو نفى (الأبناء)، فلم يشعر أهل صنعاء إلا وهم محاطون بتلك الفلول ثم حرص (قيس) على تجميع (الأبناء) تمهيدًا لنفيهم[5].

وعندما وصل فيروز الديلمى إلى خولان كتب من هناك إلى أبى بكر يخبره بما حصل من قيس، فما كان منه إلا أن كتب إلى الزعماء الذين كتب إليهم رسول الله ﷺ، وكانت صيغة الكتاب واضحة صريحة وهى: (أعينوا الأبناء على من ناوأهم وحوطوهم واسمعوا من فيروز وجدوا معه فإنى قد وليته)[6].

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/٥٦).

(٢) البلاذرى فتوح البلدان (١/١٢٧).

(٣) اليمن فى صدر الإسلام، ص٢٧٥.

(٤) تاريخ الطبرى (٤/١٤٠).

(٥) تاريخ الطبرى (٤/١٤٠)؛ اليمن فى صدر الإسلام، ص ٢٦٤.

(٦) تاريخ الطبرى (٤/١٤٠).

كان الصديق فى نهجه هذا يستهدف أمرين متلازمين:

● أنه جعله خطة حربية حيث كان جيش أسامة بن زيد قد خرج إلى الشام، وكان الخليفة ينتظر عودته حتى يتسنى له مواجهة أعنف موجات الردة فى اليمامة والبحرين وعمان وتميم، وهى أشد وأعنف من موجات الردة فى اليمن التى اكتفى بمعالجة بعضها بالرسائل والرسل.

● وأما الهدف الآخر فهو إعطاء الفرصة لمن ثبت على الإسلام لكى يبرهن على صدق إسلامه، ولكى يزداد ثباتًا واستمساكًا بدينه ما دام هو صاحب المسئولية والمتحمل لأمانة إقرار الإسلام فيمن حوله، خاص أن من راسلهم أبو بكر كانوا هم الذين راسلهم رسول الله ﷺ من قبل، وقد ثبتوا وقاموا بما طُلب منهم(١)، وقام فيروز بالاتصال ببعض القبائل يستمدهم ويستنصرهم وعلى رأس هؤلاء (بنو عقيل بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) ثم أرسل إلى قبيلة (عك) للغرض نفسه، وكان أبو بكر قد أرسل الى الطاهر ابن أبى هالة(٢)، وإلى مسروق العكى - وكانا بين عك والأشعريين أن يمدا الأبناء بالمعونة فخرج كل من جهته وعملوا جميعاً للحيلولة دون تنفيذ مخطط قيس وهو طرد الأبناء وإخراجهم من اليمن، فأنقذوهم ثم تكتلوا وتوجهوا نحو صنعاء جميعًا فاصطدموا به حتى اضطر إلى ترك صنعاء، وعاد إلى ما كان عليه أصحاب الأسود العنسى وهو التذبذب بين نجران وصنعاء ولحج، إلا أنه انضم إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدى، وبهذا عادت صنعاء للمرة الثانية إلى الهدوء والاستقرار عن طريق الرسل والكتب(٣).

ج- **واستمر الصديق يتابع سياسة الإحباط من الداخل** وهى ما يعبر عنها المؤرخون بقولهم: (ركوب من ارتد بمن لم يرتد وثبت على الإسلام)(٤).

ففى ردة (تهامة اليمن) تم القضاء عليها بدون مجهود يذكر من قبل الخليفة، فقد تولاها المسلمون من أبناء تهامة مثل (مسروق) العكى الذى قاتل المرتدين بقومه من عك، وكان على رأس من قضى على ردة تهامة (الطاهر بن أبى هالة) الذى كان واليًا

---

(١) اليمن فى صدر الإسلام، ص ٢٧٥.

(٢) تاريخ الطبرى (٤/ ١٤٤).

(٣) نفس المصدر السابق (٤/ ١٤٢).

(٤) اليمن فى صدر الإسلام، ص ٢٧٧.

للرسول ﷺ على جزء من تهامة، وهى موطن (عك والأشعريين)[1] ثم أمر أبو بكر (عكاشة بن ثور) أن يقيم فى (تهامة) ليجمع حوله أهلها حتى يأتيه أمره[2]، وأما بجيلة فإن أبا بكر رد جرير بن عبدالله[3]، وأمره أن يستنفر من قومه من ثبت على الإسلام ويقاتل بهم من ارتد عن الإسلام، وأن يأتى خثعم فيقاتل من ارتد منهم، فخرج جرير وفعل ما أمره به الصديق رضى الله عنه، فلم يقم له أحد إلا نفر يسير فقتلهم وتتبعهم[4].

وكان بعض (بنى الحارث بن كعب) بنجران قد تابعوا الأسود العنسى، وبعد وفاة رسول الله ﷺ بقوا مترددين فخرج إليهم (مسروق العكى) وهو يزمع مقاتلتهم فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا من غير قتال، فأقام فيهم ليعمل على استتباب الأمور فلم يأته (المهاجر بن أبى أمية) إلا وقد ضبط نجران[5].

وقد نجحت سياسة الإحباط من الداخل وتوجه الصديق بإرسال الجيوش بعد عودة جيش أسامة.

د - جيش عكرمة:

بعد أن شارك فى القضاء على ردة أهل عمان، توجه نحو مهرة حسب أمر أبى بكر، وكان معه سبع مئة فارس[6]، فوق ما جمع حوله من قبائل عمان، وحينما دخل مهرة وجدها مقسمة بين زعيمين متناحرين: أحدهما يسمى شخريت ويتمركز فى السهل الساحلى، وهو أقل الجمعين عدداً وعدة، والآخر يسمى المصبح ونفوذه على المناطق المرتفعة وهو أكبر الجمعين، فدعاهما عكرمة إلى الإسلام فاستجاب صاحب السهل الساحلى وأما الآخر فقد اغتر بجموعه فأبى فصادمه عكرمة ومعه (شخريت) فلحقته الهزيمة، وقتل ومعه الكثير من أصحابه، ثم أقام عكرمة فيهم يجمعهم ويقيم شئونهم

(١، ٢) اليمن فى صدر الإسلام، ص ٢٧٧.

(٣) البجلى، يكنى أبو عمرو: أسلم فى السنة العاشرة من الهجرة.

(٤) الثابتون على الإسلام فى أيام فتنة الردة، ص ٤٢.

(٥) تاريخ الردة للكلاعى، ص ١٥٦.

(٦) نفس المصدر السابق، ص ١٧٧.

حتى جمعهم على الذى يجب، حيث بايعوا على الإسلام وأمنوا واستقروا(١). وكان قد تلقى كتاباً من أبى بكر يأمره بالاجتماع مع المهاجر بن أبى أمية القادم من (صنعاء) ليتوجها معاً إلى كندة، فخرج من مهرة حتى نزل أبين وبقى هناك ينتظر المهاجر، وعمل وهو هناك على جمع (النَّخع) وحمير وتثبيتهم على الإسلام(٢)، وكان لوصول عكرمة الى أبين أثر على بقية فلول الأسود العنسى وعلى رأسهم قيس بن المكشوح وعمرو بن معد يكرب، فبعد هروب قيس من صنعاء بقى متردداً بينها وبين نجران، وكان (عمرو بن معد يكرب) قد انضوى إلى فلول العنسى التى أطلق عليها الفلول اللحجية لأن وجهتهم كانت إلى لحج، فلما جاء عكرمة انضم قيس إلى عمرو وقد اجتمعا للقتال ولكن ما لبث أن نشب الخلاف بينهما فتعايرا ففارق كل واحد الآخر، فلما جاء المهاجر ابن أمية أسرع عمرو لتسليم نفسه ولحقه قيس فأوثقهما المهاجر وبعث بهم إلى أبى بكر، وبعد أن عاتبهما اعتذر كل واحد منهما عن فعله فأطلقهما ورجعا بعد أن تابا وأصلحا(٣).

وهكذا كان لقدوم عكرمة من الشرق دور فى القضاء على فلول المرتدين الموجودين فى لحج سواء بالمواجهة أو الخوف من هذا الجيش القادم ، بينما هم يواجهون جيشاً آخر فى الشمال بقيادة المهاجر(٤).

هـ- جيش المهاجر بن أبى أمية للقضاء على ردة حضرموت وكندة:

كان آخر من خرج من المدينة من الجيوش الأحد عشر جيش المهاجر بن أبى أمية وكان معه سرية من المهاجرين والأنصار، فمر على مكة فانضم إليه (خالد بن أسيد) – أخو (عتاب بن أسيد) أمير مكة، ومر على الطائف، فلحقه عبدالرحمن بن أبى العاص ومن معه، ولما التقى (بجرير بن عبدالله البجلى) بنجران ضمه إليه، وضم عكاشة بن ثور الذى جمع بعض أهل تهامة. ثم دخل فى جموعه (فروة بن مسيك المرادى) الذى كان فى أطراف بلاد مذحج، ومر على بنى الحارث بن كعب بنجران فوجد عليهم مسروق

---

(١) تاريخ الردة للكلاعى ، ص ١٥٥.

(٢) اليمن فى صدر الإسلام ، ص ٢٨١.

(٣) الطبقات لابن سعد (٥/ ٥٣٤، ٥٣٥).

(٤) اليمن فى صدر الإسلام ، ص ٢٨٢.

العكى فضمه إليه[١].

وفى نجران قسم جيشه إلى فرقتين: فرقة تولت القضاء على فلول (الأسود العنسى) المتناثرة بين نجران وصنعاء وكان المهاجر نفسه على هذه الفرقة، أما الفرقة الأخرى فكان عليها أخوه (عبدالله) وكانت مهمتها تطهير منطقة تهامة اليمن من بقية المرتدين[٢].

وحينما استقر المهاجر فى صنعاء كتب إلى أبى بكر بما قام به و بما استقر عليه وبقى ينتظر الرد منه، وفى الوقت نفسه كتب معاذ بن جبل وبقية عمال اليمن الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ - ما عدا زياد بن لبيد - إلى أبى بكر يستأذنونه بالعودة إلى المدينة، فجاءت كتب أبى بكر مُطلقةً حق الاختيار لمعاذ ومن معه من العمال بالبقاء أو العودة، والاستخلاف على عمل كل من رجع فرجعوا جميعا[٣]، وأما المهاجر فقد تلقى الأمر بالتوجه لملاقاة عكرمة وأن يسيرا معاً إلى حضرموت لمعاونة زياد بن لبيد وإقراره على ما هو عليه، وأمره أن يأذن لمن معه من الذين قاتلوا بين مكة واليمن فى العودة إلا أن يؤثر قوم الجهاد[٤].

كان زياد بن لبيد الأنصارى والياً لرسول الله على كندة بحضرموت، وأقره الصديق رضى الله عنه على ذلك، وكان حازمًا شديداً وكان لحزمه وشدته سبب كبير فى أن يتمرد عليه حارثة بن سراقة، وخلاصة ذلك كما يذكر الكلاعى أن زياداً أعطى من ضمن الصدقة ناقة معينة لفتى من كندة على سبيل الخطأ، فلما أراد صاحبها استبدالها بأخرى لم يقبل منه ذلك زياد، فاستنجد الفتى بزعيم لهم هو حارثة بن سراقة، وعندما طلب ابن سراقة من زياد استبدال الناقة أصر زياد على موقفه، فغضب ابن سراقة وأطلق الناقة عنوة، فوقعت الفتنة بين أنصار زياد وأنصار ابن سراقة، ودارت الحرب وانهزم ابن سراقة وقتل ملوك كندة الأربعة وأسر زياد عدداً من جماعة ابن سراقة، واستنجد الأسرى وهم فى طريقهم إلى المدينة بالأشعث بن قيس فنجدهم حمية وعبية، واتسعت رقعتها

---

(١) تاريخ الردة للكلاعى، ص (٥٤- ٥٨).

(٢) طبقات فقهاء اليمن، ص ٣٦.

(٣) طبقات فقهاء اليمن، ص ٣٦.

(٤) اليمن فى صدر الإسلام، ص ٢٨٣.

وتكاثر جمع الأشعث وحصروا المسلمين[1]، فأرسل زياد الى المهاجر وعكرمة يستعجلهما النجدة وكانا قد التقيا بمأرب، فما كان من المهاجر إلا أن ترك (عكرمة) إلى الجيش وأخذ أسرع الناس وغالباً من الفرسان - ليكون بجانب زياد، وقد استطاع أن يفك الحصار عنه فهربت كندة إلى حصن من حصونها يسمى النجير، وكان لهذا الحصن ثلاث طرق لا رابع لها، فنزل زياد على إحداها والمهاجر على الثانية وبقيت الثالثة تحت تصرف كندة، حتى قدم عكرمة فنزل عليها فحاصروهم من جميع الجهات، ثم بعث (المهاجر) الطلائع إلى قبائل كندة والمتفرقة فى السهل والجبل يدعوهم إلى الإسلام ومن أبى قاتلوه، و لم يبق إلا فى الحصن المحاصر[2].

وكان جيشا زياد والمهاجر يزيدان على خمسة آلاف رجل من المهاجرين والأنصار وغيرهم من القبائل، وقد عملا على التضييق على من فى الحصن حتى ضجوا بالشكوى إلى زعمائهم متبرمين من الجوع، وفضلوا الموت بالسيف بدلاً من ذلك، فاتفق زعماؤهم على أن يقوم الأشعث بن قيس بطلب الأمان والنزول على حكم المسلمين[3]، وبعد أن فوض الأشعث من قومه لمفاوضة المسلمين لم يوفق لأن الروايات تضافرت على أنه لم يطلب الأمان لجميع من فى الحصن، أو أنه لم يصر على ذلك ولم يطلبه إلا لعدد تراوح حسب الروايات بين السبعة والعشرة وكان الشرط هو فتح أبواب حصن (النُّجَيْر)، وكان من جراء ذلك أن قتل من (كندة) فى الحصن سبعمائة قتيل، فأشبه موقفهم موقف يهود بنى قريظة[4].

وتم القضاء على ردة كندة وعاد عكرمة بن أبى جهل ومعه السبايا والأخماس، وبرفقتهم الأشعث بن قيس الذى صار مبغضاً إلى قومه ولا سيما نساؤهم لأنهم عدوه سبب ذلتهم، ولأنه عندما صالح المسلمين كان أول ما بدأ به اسمه، فكانت نساء قومه يسمينه عُرف النار ومعناه بلغتهم: الغادر[5]، ولما قدم الأشعث على أبى بكر قال: ماذا ترانى أصنع بك فإنك قد فعلت ما علمت! قال: تمنٌّ علىَّ فتفكنى من الحديد وتزوجنى

---

(١) الكامل فى التاريخ (٢/٤٩) الثابتون على الإسلام، ص ٦٦.

(٢) اليمن فى صدر الإسلام، ص ٢٨٤؛ تاريخ الطبرى (٤/١٥٢).

(٣) تاريخ الطبرى (٣/١٥٢).

(٤) اليمن فى صدر الإسلام، ص ٢٨٦؛ تاريخ الردة، ص ١٦٧.

(٥) حركة الردة للعتوم، ص ١٠٧.

أختك فإنى قد راجعت وأسلمت. فقال أبو بكر: قد فعلت فزوجه أم فروة ابنة أبى قحافة، فكان بالمدينة حتى فتح العراق[1]. وفى رواية جاء فيها: فلما خشى أن يقع به قال: أو تحتسب فىَّ خيراً فتطلق إسارى وتقيلنى عثرتى وتقبل إسلامى وتفعل بى مثل ما فعلته بأمثالى وترد علىَّ زوجتى - وقد كان خطب أم فروة بنت أبى قحافة مقدمه على رسول الله ﷺ فزوجه، وأخرها إلى أن يقدم الثانية فمات رسول الله ﷺ، وفعل الأشعث ما فعل فخشى ألا ترد عليه - تجدنى خير أهل بلادى لدين الله! فتجافى له عن دمه وقبل منه ورد عليه أهله وقال: انطلق فليبلغنى عنك خير، وخلى عن القوم، فذهبوا وقسم أبو بكر فى الناس الخمس[2].

و- دروس وعبر وفوائد:

● **المرأة بين الهدم والبناء:**

فى حروب الردة باليمن تظهر صورتان مختلفتان للنساء: صورة المرأة الطاهرة العفيفة التى تقف مع الإسلام وتحارب الرذيلة، وتقف مع المسلمين لكبح جماح شياطين الإنس والجن، فهذه (آزاد) الفارسية زوج شهر بن باذان وابنة عم فيروز الفارسى تقف مع الصف الإسلامى بكل عزم وتصميم، وتدبر مع المسلمين خطة محكمة لاغتيال الأسود العنسى كذاب اليمن، فالمسلم فى كل عصر يكبر فى آزاد المسلمة غيرتها على دينها، وينظر باستهجان إلى ما مجه قلم الدكتور محمد حسين هيكل عندما تحدث عن موقف آزاد من كذاب اليمن، وحاول أن يرجع ما قامت به المرأة المسلمة آزاد الفارسية إلى عصبية شهوانية وذلك فى قوله عن الأسود: ولما استغلظ أمره وأثخن فى الأرض استخف بقيس وبفيروز وجعل يرى فى الأخيرين وفى سائر الفرس من تنطوى أضالعهم على المكر به، وعرفت زوجته الفارسية ذلك منه، فثار فى عروقها دم قومها، وتحركت فى نفسها عوامل الحقد على الكاهن القبيح قاتل زوجها الشاب الفارسى الذى كانت تحبه من أعماق قلبها، ولقد استطاعت بسجيتها النسوية أن تخفى ذلك عنه وأن تسخو فى البذل له من أنوثتها سخاءً جعله يركن إليها ويطمع فى وفائها[3].

(١، ٢) تاريخ الطبرى (٤/ ١٥٥).

(٣) الصديق أبو بكر، ص ٧٩.

إنه أسلوب فيه لمز بالفارسية المؤمنة آزاد، وكأنه يتهمها بالغدر لفارسيتها بالأسود العربى، ويأخذ عليها هذا الصنيع الذى كانت تظهر له فيه ما لا تخفى، إنه توجيه لحدث فى غير محله[1]، وهذه المرأة الصالحة المسلمة، قتل الأسود زوجها المسلم وتزوجها غصبًا، وهى التى وصفت الأسود الكذاب بقولها: والله ما خلق الله شخصًا أبغض إلىَّ منه، ما يقوم لله على حق ولا ينتهى عن محرم[2]، وهى التى جعلها الله تعالى سببًا لهلاك الطاغية الأسود العنسى، فلولا الله ثم جهودها الميمونة ما استطاع فيروز وأصحابه قتل الأسود[3]، فالذى حركها لذلك العمل العظيم الذى فيه حتفها وموتها، هو حبها لدينها وعقيدتها وإسلامها، وبغضها للأسود العنسى الكذاب الذى أراد أن يقضى على الإسلام فى اليمن، فهذه صورة مشرقة مضيئة لما قامت به المرأة المسلمة فى اليمن من الجهاد من أجل دينها.

أمّا الصورة الكالحة المظلمة التى قامت به بعض بنات اليمن من يهود أو من لف لفهن فى حضرموت، فقد طرن فرحًا بموت رسول الله ﷺ فأقمن الليالى الحمراء مع المجّان والفسّاق يشجعن على الرذيلة ويزرين بالفضيلة، فقد رقص الشيطان فيها معهنَّ وأتباعه طربًا لنكوص الناس عن الإسلام والدعوة إلى التمرد عليه وحرب أهله[4]، لقد حنت تلك البغايا إلى الجاهلية وما فيها من المنكرات، وانجذبن إليها انجذاب الذباب إلى أكوام من الأقذار، فقد تعودن على الفاحشة فى حياتهن الجاهلية، فلما جاء الإسلام حجزتهن نظافته عنها، فشعرن وكأنهن بسجن ضيق يكدن يختنقن فيه، ولذا ما إن سمعن بموته ﷺ، حتى أظهرن الشماتة فخضبن أيديهن بالحناء، وقمن يضربن بالدفوف ويغنين فرحتهن، فقد تحقق لهن ما كنَّ يتمنينه على السلطة الجديدة، وكان معظمهن من علية القوم هناك وبعضهن يهوديات، وقد كان لكلا الطرفين: أشراف القوم من العرب واليهود مصلحة فى الانتقاض على مبادئ الإسلام والانقضاض على كيانه، لقد عرفت هذه الحركة فى التاريخ بحركة البغايا وكن نيفًا وعشرين بغيًا متفرقات فى قرى حضرموت، وأشهرهن هر بنت يامن اليهودية التى ضرب المثل بها فى الزنا، فقيل: أزنى من هر،

(١، ٢) الكامل فى التاريخ (٢/ ٣١٠).

(٣) حركة الردة للعتوم، ص ٣٠٨.

(٤) حركة الردة للعتوم، ص ١١٩.

ويذكر التاريخ أن الفساق كانوا يتناوبونها لهذا الغرض فى الجاهلية، ولكن هؤلاء السواقط لم يتركن وشأنهن يفسدن فى المجتمع كما يحلو لهنَّ[1]، فقد وصل الخبر إلى الصديق، وأرسل رجل من أهل اليمن إليه هذه الأبيات:

أبلغ أبا بكر إذا ما جئته ... أن البغايا رُمنَ أىَّ مَرامِ

أظهرن من موت النبى شماتة ... وخضبن أيديهن بالعُلاَّم[2]

فاقطع هُديت أكُفَّهُنَّ بصارم ... كالبرق أمضى من متون غَمامِ[3]

فكتب أبو بكر رضى الله عنه إلى عامله هناك المهاجر بن أبى أمية كتاباً فى منتهى الحزم والصرامة جاء فيه: (فإذا جاءك كتابى هذا فسر إليهن بخيلك ورجلك حتى تقطع أيديهن، فإن دفعك عنهن دافع، فأعذر إليه باتخاذ الحجة عليه، و أعلمه عظيم ما دخل فيه من الإثم والعدوان، فإن رجع فاقبل منه وإن أبى فنابذه على سواء إن الله لا يهدى كيد الخائنين....) فلما قرأ المهاجر الكتاب جمع خيله ورجله وسار إليهنَّ فحال بينه وبينهن رجال من كندة وحضرموت فأعذر إليهم، فأبوا إلا قتاله، ثم رجع عنه عامتهم، فقاتلهم فهزمهم وأخذ النسوة فقطع أيديهن فمات عامتهنَ وهاجر بعضهن إلى الكوفة[4]. لقد نلن جزاءهن فى محكمة الإسلام العادلة إذ أخذهن عامل أبى بكر على تلك البلاد وطبق عليهن حد الحرابة[5].

ونقلت الأخبار للخليفة فى امرأتين من بلاد حضرموت تغنتا بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين، وكان قد عاقبهما المهاجر بن أبى أمية والى تلك البلاد بقطع يديهما ونزع ثنيتيهما، فلم يرضَ أبو بكر، وعدها عقوبة خفيفة فى حق هاتين المجرمتين، وقد وجه إليه كتاباً بهذا الخصوص قال فيه بحق الناعقة بشتم صاحب الرسالة: بلغنى الذى سرت به فى المرأة التى تغنت وزمرت بشتيمة رسول الله ﷺ فلولا ما قد سبقتنى فيها لأمرتك

---

(١) حركة الردة للعتوم، ص ١١٩.

(٢) العلاّم: الحنّاء.

(٣) عيون الأخبار (٣/١٣٣).

(٤) حركة الردة للعتوم، ص ١٨٤.

(٥) نفس المصدر السابق، ص ١١٩.

بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود، فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد أو معاهد فهو محارب غادر(١). وقال فى الأخرى: بلغنى إنك قطعت يد امرأة فى أن تغنت بهجاء المسلمين ونزعت ثنيتها، فإن كانت ممن تدعى الإسلام فأدب وتقدمة دون المثلة، وإن كانت ذمية لعمرى لما صفحت عنه من الشرك أعظم، ولو كنت تقدمت إليك فى مثل هذا لبلغت مكروهًا فاقبل الدعة وإياك والمثلة فى الناس فإنها مأثم ومنفرة إلا فى قصاص(٢).

● **من خطباء الإيمان:**

كان بعض أهل اليمن لهم مواقف عظيمة فى الثبات على الحق والدعوة إلى الإسلام وتحذير قومهم من خطورة الردة، ومن هؤلاء كان مران بن ذى عمير الهمدانى أحد ملوك اليمن الذى كان قد أسلم ممن أسلم من أهل اليمن، فلما ارتد الناس هناك وتكلم سفهاؤهم بما لا يليق وقف فيهم خطيبًا وقال لهم: يا معشر همدان إنكم لم تقاتلوا رسول الله ﷺ ولم يقاتلكم فأصبتم بذلك الحظ ولبستم به العافية، ولم يعمكم بلعنة تفضح أوائلكم وتقطع دابرهم، وقد سبقكم قوم إلى الإسلام وسبقتم قومًا، فإن تمسكتم لحقتم من سبقكم وإن أضعتموه لحقكم من سبقتموه، فأجابوا إلى ما أحب، وأنشد أبياتا رثى فيها النبى ﷺ يقول فيها:

إن حزنى على الرسول طويل ... ذاك منى على الرسول قليل

بكت الأرض والسماء عليه ... وبكاه خديمه جبريل(٣)

وقام عبدالله بن مالك الأرحبىُّ وكان من أصحاب النبى ﷺ له هجرة وفضل فى دينه فاجتمع إليه همدان فقال: يا معشر همدان إنكم لم تعبدوا محمداً إنما عبدتم رب محمد وهو الحى الذى لا يموت، غير أنكم أطعتم رسوله بطاعة الله واعلموا أنه استنقذكم من النار، ولم يكن الله ليجمع أصحابه على ضلالة وذكر له خطبة طويلة يقول فيها:

لعمرى لئن مات النبى محمدٌ ... لما مات يا ابن القَيلِ ربٌّ محمد

(١، ٢) تاريخ الطبرى (٤/١٥٧).

(٣) الإصابة فى تمييز الصحابة (٦/٢٢٣) رقم ٨٤٠٠.

دعـــاه إليـــه ربُّـه فـــأجـــابه فيا خيْرَ غَوْرِىٍّ[1] ويا خير منجد[2]

ووقف شرحبيل بن السِّمط وابنه فى بنى معاوية من كندة عندما أطبقوا كلهم على منع الصدقة وقالا لبنى معاوية: إنه لقبيح بالأحرار التنقل، إن الكرام ليلزمون الشُّبْهَة فيتكرمون أن ينتقلوا إلى أوضح منها مخافة العار، فكيف الانتقال من الأمر الحسن الجميل والحق إلى الباطل القبيح؟ اللهم إنا لا نمالىء قومنا على ذلك. وانتقل ونزل مع زيد ومعهما امرؤ القيس بن عابس وقالا له: بَيِّتِ القوم فإن أقوامًا من السكاسك والسَّكون قد انضموا إليهم وكذلك شُذّاذ من حضرموت، فإن لم تفعل خشينا أن تتفرق الناس عنا إليهم فأجابهم إلى تبييت القوم فاجتمعوا وطرقوهم فى محاجرهم فوجدوهم جلوسًا حول نيرانهم فأكبوا على بنى عمرو وبنى معاوية وفيهم العدد والشوكة من خمسة أوجه فأصابوا الملوك الأربعة من كندة وأختهم العَمَرَّدة وقتلوا فأكثروا، وهرب من أطاق الهرب وعاد زياد بن لبيد بالأموال والسبى[3]، فهذه بعض النماذج من أهل الإيمان الذين كانت لهم مواقف تدل على عمق إيمانهم وشدة انتمائهم إلى الإسلام فكانوا من خطباء الإيمان.

● **كرامات الأولياء:**

عندما تمكن الأسود العنسى باليمن وتنبأ بالنبوة بعث إلى أبى مسلم الخولانى فلما جاء قال له: أتشهد أنى رسول الله؟ قال: ما أسمع. قال: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم. فردد ذلك عليه، وفى كله يقول مثل قوله الأول قال: فأمر به فألقى فى نار عظيمة فلم تضره، فقيل له: انفه عنك وإلا أفسد عليك من اتبعك، قال: فأمره بالرحيل فأتى المدينة وقد قُبِضَ رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد، ودخل المسجد فقام يصلى إلى سارية، وبصر به عمر بن الخطاب فقام إليه فقال: ممن الرجل؟ قال: من أهل اليمن، قال: ما فعل الرجل الذى أحرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذاك عبدالله بن ثوب، قال: أنشدك الله أنت هو؟ قال: اللهم نعم.

---

(١) غورى: نسبة إلى الغور وهى أرض تهامة ما بين البحر والحجاز.

(٢) ديوان الردة للعتوم، ص ٨١؛ منجد: نسبة إلى نجد وهى الأرض المرتفعة.

(٣) الكامل فى التاريخ (٢/ ٨٤).

فاعتنقه عمر وبكى، ثم ذهب به فأجلسه فيما بينه وبين أبى بكر وقال: الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى فى أمة محمد من فعل به ما فعل بإبراهيم خليل الله[1]، فهذه كرامة لهذا العبد الصالح الذى التزم بحدود الله وأحب فى الله وأبغض فى الله وتوكل على الله فى كل شىء، وبذلك وفقه الله فى القول والعمل ورزقه الأمن والطمأنية وأجرى الله على يديه هذه الكرامة قال تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤].

● **العفو عند الصديق:**

كان لأبى بكر بُعد نظر وبصيرة نافذة ونظر بعواقب الأمور ولذلك كان يستعمل الحزم فى محله، والعفو عندما تقتضى إليه الحاجة، فقد كان حريصاً على جمع شتات القبائل تحت راية الإسلام، فكان من سياسته الحكيمة عفوه عن زعماء القبائل المعاندة بعد رجوعهم إلى الحق، فإنه لما استخضع قبائل اليمن المرتدة وأراهم سطوة دولة المسلمين وقوة شكيمتهم ومضاء عزيمتهم، واعترفت القبائل بما أنكرت واستكانت لحكم الإسلام، وأطاعوا خليفة رسول الله رأى أبو بكر أنه من تأليف القلوب ترك استعمال القوة مع زعماء هذه القبائل، بل اللين هنا والرفق أوفق، فرفع العقوبة عنهم وألان القول لهم ووظف نفوذهم فى قبائلهم لصالح الإسلام والمسلمين[2]، فعفا عن زلتهم وأحسن إليهم، فقد فعل ذلك مع قيس بن يغوث المرادى وعمرو بن معد يكرب فقد كانا من صناديد العرب و فرسانهم وأكثرهم شجاعة، فعزَّ على أبى بكر أن يخسرهما وحرص على أن يستخلصهما للإسلام ويسنتقذهما من التردد بين الإسلام والردة، فقد قال أبو بكر لعمرو: أما تخزى أنك كل يوم مهزوم أو مأسور؟ لو نصرت هذا الدين لرفعك الله، فقال عمرو: لاجرم لأفعلن ولن أعود. فأطلقه الصديق ولم يرتد عمرو بعدها قط بل أسلم وحسن إسلامه و نصره الله، وأصبح له بلاء عظيم فى الفتوحات. وندم قيس على ما فعل، فعفا عنه الصديق، وكان للعفو عن هذين البطلين من أبطال عرب اليمن آثاره العميقة والعريضة، فقد تألف به الصديق قلوب أقوام قد عادوا إلى الإسلام بعد الردة

---

(١) أسد الغابة (٦/ ٣٠٤) رقم ٦٢٤٧؛ الاستيعاب (٤/ ١٧٥٨).

(٢) تاريخ الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٥٦.

خوفًا أو طمعًا، وعفا عن الأشعث بن قيس، وبذلك أسر الصديق قلوبهم وامتلك أفئدتهم، فكانوا فى مستقبل الأيام نصرًا للإسلام وقوة للمسلمين وأصبحت لهم يد عظيمة فى هذا المجال(١).

● **وصية الصديق لعكرمة ومحاسبته لمعاذ:**

كان أبو بكر رضى الله عنه حين بعث عكرمة بن أبى جهل إلى مُسيلمة وأتبعه شرحبيل بن حسنة عجَّل عكرمة فوافته بنو حنيفة فنكبوه، فكتب عكرمة إلى أبى بكر بالذى كان من أمره، فكتب إليه أبو بكر: يا ابن أم عكرمة لا أرينَّك ولا ترانى على حالها، لا ترجع فتوهن الناس، امض على وجهك حتى تساند حذيفة وعرفجة فقاتل معهما أهل عُمان ومَهرة، وإن شغلا فامضِ أنت ثم تسير وتُسيِّر جندك تستبرئون ممن مررتم به، حتى تلتقوا أنتم والمهاجر بن أبى أمية باليمن وحضرموت(٢).

ونلحظ أن الصديق حينما وجه الجيوش لقتال المرتدين وجه إلى مسيلمة الكذاب جيشين أحدهما بقيادة عكرمة بن أبى جهل والثانى بقيادة شرحبيل بن حسنة، وهذا دليل على خبرة أبى بكر الدقيقة بدرجات القوة عند الأعداء ومقدار مقدرتهم على الصمود، وحينما تعجل عكرمة لحرب مسيلمة فنُكب هو وجيشه أرسل إليه أبو بكر يقول له: (لا أرينّك ولا ترانى على حالها لا ترجع فتوهن الناس) وهذا أيضًا من خبرة أبى بكر الحربية فإن الروح المعنوية لها أثر كبير فى نتائج المعارك، فإذا قدم هؤلاء المنهزمون فقابلوا الجيش المتوجه لقتال الأعداء، فإن نفوس أفراد هذا الجيش سيكون فيها شىء من التخوف والضعف، خصوصًا فيما إذا رَوَى لهم المنهزمون شيئًا عن ضخامة جيش الأعداء وقوته(٣)، وقد كان البعد الحربى عند الصديق واضحًا فأرسل عكرمة وجيشه إلى مناطق أخرى وحقق نجاحًا باهرًا، فارتفعت معنويته وجيشه.

وعندما رجع معاذ من اليمن إلى المدينة واستقبله الصديق وكان من عادته مراقبة عماله ومحاسبتهم بعد فراغهم من عملهم، قال الصديق لمعاذ: ارفع حسابك، فقال

---

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٥٦.

(٢) الكامل فى التاريخ (٢/ ٣٤)، البداية والنهاية (٦/ ٣٣٤).

(٣) التاريخ الإسلامى للحميدى (٩/ ٨٣).

معاذ: أحسابان: حساب الله وحساب منكم؟ والله لا ألِي لكم عملاً أبداً[١].

● توحيد اليمن ووضوح الإسلام عند أهله وطاعتهم للخليفة:

وبعد انتهاء حروب الردة تجمعت اليمن تحت قيادة مركزية عاصمتها المدينة المنورة وقسم اليمن إلى أقسام إدارية لا وحدات قبلية، فقد قسم إلى ثلاثة أقسام إدارية: صنعاء والجند وحضرموت، ولم تعد العصبية القبلية أساساً فى الزعامة أو فى التولية، ولم تعد القبيلة سوى وحدة عسكرية لا سياسية، وأصبحت المقاييس المعتبرة هى المقاييس الإيمانية، التقوى والإخلاص والعمل الصالح[٢].

وتخلصت اليمن من بقايا الشرك ومن جميع مظاهره - شرك فى الاعتقاد أو شرك فى القول أو شرك فى الفعل: تركًا أو إتيانًا - وأدركوا أن النبوة أرفع من أن يدعيها مدع عابث ويتخذها وسيلة إلى غرضه ورغبته[٣]، وأيقنوا أن الإيمان لا يلتقى مع المطامع، وأن الإسلام لا يتفق مع الجاهلية، عرفوا ذلك بالدماء والألم والحسرات، فقتل من كلا الطرفين الكثير وتعلم منهم الكثير[٤]، ورجع من كان قد ارتد إلى الإسلام يرجو التكفير عما بدر[٥]، وأذن لهم بالجهاد فى عصر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وقد برزت قيادات يمنية إسلامية فى الفتوحات قد تربت وانصهرت فى أحداث الردة، وكانوا من الثابتين على الإسلام كجرير بن عبدالله البجلى وذو الكلاع الحميرى ومسعود بن العكى وجرير بن عبدالله الحميرى وغيرهم، وكان لهذه القيادات أدوار بارزة فى الفتوحات الإسلامية وفى عمران مدن جديدة فى الكوفة والبصرة والعراق والفسطاط بمصر، وبرزت - أيضاً - شخصيات يمنية عينت فى اليمن وغير اليمن قضاة وولاة مثل: حشك عبدالحميد وسعيد بن عبدالله الأعرج وشرحبيل بن السمط الكندى وغيرهم[٦].

---

(١) عيون الأخبار (١/١٢٥).

(٢) اليمن فى صدر الإسلام، ص ٢٩٠.

(٣) الخلافة الراشدة والخلفاء الراشدون، يوسف على، ص ٣٩.

(٤) ظاهرة الردة، محمد بريغش، ص ١٥٩.

(٥) اليمن فى صدر الإسلام، ص ٢٨٩.

(٦) نفس المصدر السابق، ص ٢٩١.

والتحم أهل اليمن بالدولة الإسلامية وبقيادتها سواء التى عليهم مباشرة أو القيادة العامة (الخليفة) فى المدينة، ولهذا حينما دعاهم الخليفة للجهاد سارعوا طواعية ورغبة فى الجهاد – كما سيأتى تفصيله بإذن الله تعالى.

لقد تربوا فى أحداث الردة تربية كافية جعلتهم موصولين بالقيادة واثقين بها، ولذا ساد الهدوء والاستقرار وأصبحوا خير مدد للإسلام والمسلمين[١].

٢- القضاء على فتنة طليحة الأسدى:

طليحة الأسدى هو المتنبىء الثالث من المتنبئة الذين ظهروا فى الإسلام أواخر عهد رسول الله ﷺ بالحياة، وطليحة هذا هو طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة الأسدى، ولقد قدم مع وفد قومه أسد على رسول الله ﷺ فى عام الوفود سنة تسع للهجرة فسلموا عليه، وقالوا له ممتنين: جئناك نشهدُ أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله ولم تبعث إلينا ونحن لمن وراءنا، فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿ **يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [الحجرات: ١٧]. ولما عادوا ارتد طليحة وتنبأ[٢]، وعسكر فى سميراء (منطقة فى بلادهم) ، واتبعه العوام واستكشف أمره (وأول ما صدر عنه – وكان سبباً لضلال الناس – أنه كان مع بعض قومه فى سفر فأعوزهم الماء وغلب العطش على الناس فقال: اركبوا أعلالاً (اسم فرسه) واضربوا أميالاً تجدوا بلالاً. ففعلوا فوجدوا الماء، فكان ذلك سبب وقوع الأعراب فى الفتنة)[٣].

ومن خزعبلاته أنه رفع السجود من الصلاة، وكان يزعم أن الوحى يأتيه من السماء، ومن أسجاعه التى ادعى أنه يوحى له بها قوله: (والحمام واليمام والصُّرد الصَّوام قد صمن قبلكم بأعوام ليبلغن ملكُنا العراق والشام)[٤] وغرته نفسه واشتد أمره وقوت شوكته، فبعث رسول الله ﷺ ضرار بن الأزور الأسدى لمقاتلته لما سمع من أمره، ولكن

---

(١) اليمن فى صدر الإسلام ، ص ٢٩١.

(٢) أسد الغابة (٣/ ٩٥).

(٣) حروب الردة، لمحمد أحمد باشميل، ص ٧٩.

(٤) البداية والنهاية (٦/ ٣٢٣).

ضراراً لم يكن له به قبل، وذلك لتعاظم قوته مع الزمن ، ولا سيما بعد أن آمن به الحليفان: أسد وغطفان[1]، وتقول عنه دائرة المعارف الإسلامية: ويروى عنه أنه كان يرتجل الشعر ويخطب عفو الساعة فى ميدان القتال.. ويبدو أنه كان مثالاً – حقًا – للزعيم القبلى الجاهلى. وقد اجتمعت فيه صفات: العرَّاف والشاعر والخطيب والمقاتل[2]. ويشمُّ من هذا النص رائحة المدح المبطن لطليحة من قبل هذه الموسوعة الشهيرة، فهو فى نظرها الزعيم القبلى المثال يرتجل الشعر والخطابة، وهما أهم ما كان يحرص عليه العربى آنذاك، ولا يستغرب هذا الاتجاه من هذه الموسوعة التى جعلت من اللمز فى الإسلام ديدنها، سواء أعرفت أن طليحة عاد فأسلم وحسن إسلامه أم لم تعرف.

وتوفى رسول الله ولم يُحسم أمر طليحة[3] وتولى الخلافة الصديق رضى الله عنه، وعقد الألوية للجيوش والأمراء للقضاء على المرتدين، وكان من ضمنهم طليحة، ووجه إليه الصديق جيشًا بقيادة خالد بن الوليد، روى الإمام أحمد: ... أن أبا بكر الصديق لما عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعْمَ عبدالله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سَلَّه الله على الكفار والمنافقين»[4]. ولما توجه خالد من ذى القصة وفارقه الصديق، واعده أنه سيلقاه من ناحية خيبر بمن معه من الأمراء، وأظهروا ذلك ليرعبوا الأعراب، وأمره أن يذهب أولاً إلى طليحة الأسدى، ثم يذهب بعده إلى بنى تميم، وكان طليحة بن خويلد فى قومه بنى أسد وفى غطفان، وانضم إليهم بنو عبس وذبيان، وبعث إلى بنى جَديلة والغوث من طئ يستدعيهم إليه، فبعثوا أقواماً منهم بين أيديهم ليلحقوهم على أثرهم سريعًا، وكان الصديق قد بعث عدى بن حاتم قبل خالد بن الوليد وقال له: أدرك قومك لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم. فذهب عدى إلى قومه بنى طىء فأمرهم أن يبايعوا الصديق[5]، وأن يراجعوا أمر الله فقالوا: لا نبايع أبا الفَصيل[6] أبدًا – يعنون أبا بكر رضى الله عنه –

---

(١) أسد الغابة (٣/٩٥).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مادة (طليحة) نقلاً عن حركة الردة، ص ٧٨.

(٣) حركة الردة للعتوم، ص ٧٨.

(٤) مسند أحمد (١/١٧٣) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٥) ترتيب وتهذيب كتاب البداية والنهاية، خلافة أبى بكر، د. محمد بن صامل السلمى، ص ١٠١.

(٦) الفصيل: ولد الناقة.

فقال: والله ليأتينكم جيشه فلا يزالون يقاتلونكم حتى تعلموا أنه أبو الفحل الأكبر، ولم يزل عدى يَفتِل لهم فى الذروة والغارب حتى لانوا، وجاء خالد فى الجنود وعلى مقدمة الأنصار الذين معه: ثابت بن قيس بن شماس، وبعث بين يديه ثابت بن أقرم وعكاشة ابن محصن طليعة، فتلقاهما حِيَال - ابن أخى طليحة - فقتلاه، فبلغ خبره طليحة فخرج هو وأخوه سلمة، فلما وجدا ثابتًا وعُكاشة تبارزوا وحمل طليحة على عُكاشة فقتله وقتل سلمة ثابت بن أقرم، وجاء خالد بمن معه فوجودهما صريعين، فشق ذلك على المسلمين، ومال خالد إلى بنى طىء فخرج إليه عدى بن حاتم فقال: أنظرنى ثلاثة أيام فإنهم قداستنظرونى حتى يبعثوا إلى من تعجَّل منهم إلى طليحة حتى يرجعوا إليهم ، فإنهم يخشون إن تابعوك أن يقتل طليحة من سار إليه منهم ، وهذا أحبُّ إليك من أن يعجلهم إلى النار، فلما كان بعد ثلاث جاءه عدى فى خمسمائة مقاتل ممن راجع الحق، فانضافوا إلى جيش خالد، وقصد خالد بنى جَديلة فقال له: يا خالد أجِّلنى أياما حتى آتيهم فلعل الله أن ينقذهم كما أنقذ الغوث[1] فأتاهم عدى فلم يزل بهم حتى تابعوه فجاء بإسلامهم ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب فكان عدى خير مولود وأعظمه بركة على قومه رضى الله عنه[2].

أ - معركة بُزَاخَة والقضاء على بنى أسد:

ثم سار خالد حتى نزل بأجأ وسلمى وعَبَّى جيشه هنالك، والتقى مع طليحة الأسدى بمكان يقال له: «بُزَاخة» ووقفت أحياء كثيرة من الأعراب ينظرون على من تكون الدائرة، وجاء طليحة فيمن معه من قومه ومن التف معهم و انضاف إليهم، وقد حضر معه عيينة بن حِصْن فى سبعمائة من قومه بنى فزارة واصطف الناس وجلس طليحة ملتفاً فى كساء له يتنبأ لهم ينظر ما يوحى إليه فيما يزعم، وجعل عيينة يقاتل حتى إذا ضجر من القتال جاء إلى طليحة وهو ملتف فى كسائه وقال له: أجاءك جبريل؟ فيقول: لا، فيرجع فيقاتل، ثم يرجع فيقول له مثل ذلك ويرد عليه مثل ذلك، فلما كان فى الثالثة قال له: هل جاءك جبريل؟ قال: نعم، قال: فما قال لك؟ قال: قال لى: إن لك رحا كرحاه وحديثًا لا تنساه، قال: يقول عيينة: أظن أنه قد علم الله سيكون لك حديث

---

(١) البداية والنهاية، تهذيب محمد السلمى ص: ١٠٢.

(٢) البداية والنهاية (٦/٣٢٢).

لا تنساه، ثم قال: يا بنى فزارة انصرفوا وانهزم وانهزم الناس عن طليحة، فلما جاءه المسلمون ركب على فرس كان قد أعدها له وأركب امرأته النَّوَار على بعير له، ثم انهزم بها إلى الشام وتفرق جمعه وقد قتل الله طائفة ممن كان معه(١).

وقد كتب أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد حين جاءه أنه كسر طليحة ومن كان فى صفه وقام بنصره فكتب إليه: ليزدك ما أنعم الله به خيراً واتق الله فى أمرك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، جدَّ فى أمرك ولا تلن ولا تظفر بأحد من المشركين قتل من المسلمين إلا نَكَّلْتَ به، فأقام خالد ببزاخة شهراً يُصَعد عنها ويصوِّب ويرجع إليها فى طلب الذى وصاه الصديق، فجعل يتردد فى طلب هؤلاء شهراً يأخذ بثأر من قتلوا من المسلمين الذين كانوا بين أظهرهم حين ارتدوا، فمنهم من حرَّقه بالنار و منهم من رَضَخه بالحجارة، ومنهم من رَمَى به من شواهق الجبال، كل هذا ليعتبر بهم من يسمع بخبرهم من مرتدة العرب(٢).

ب- وفد بنى أسد وغطفان إلى الصديق وحكمه عليهم:

لما قدم وفد بزاخة - أسد وغطفان - على أبى بكر يسألونه الصلح خيَّرهم أبو بكر بين حرب مُجلية أو خطة مخزية. فقالوا: يا خليفة رسول الله أما الحرب المجلية فقد عرفناها فما الخطة المخزية؟ قال: تؤخذ منكم الحلقة والكُرَاع وتتركون أقواماً تتبعون أذناب الإبل حتى يُرِىَ الله خليفة نبيه و المؤمنين أمراً يعذرونكم به، وتودون ما أصبتم منا ولا نودى ما أصبنا منكم، وتشهدون أن قتلانا فى الجنة وأن قتلاكم فى النار، وتدون قتلانا ولا ندى قتلاكم، فقال عمر: أما قولك تدون قتلانا فإن قتلانا قتلوا على أمر الله لا ديات لهم، فامتنع عمر، وقال عمر فى الثانى: نعم ما رأيت(٣).

ج - قصة أم زِمل:

كان قد اجتمع طائفة كثيرة من الضُّلاَّل من أصحاب طليحة من بنى غطفان إلى امرأة يقال لها: أم زِمل- سلمى بنت مالك بن حذيفة فى مكان يسمى ظَفَر(٤) - وكانت من

---

(١) البداية والنهاية (٢/٣٢٢).

(٢، ٣) نفس المصدر السابق (٢/٢٢٣).

(٤) ظَفَر: اسم موضع قرب الحوأب فى طريق البصرة إلى المدينة.

سيدات العرب كأمها أم قِرْفة[1]، وكان يضرب بأمها المثل فى الشرف لكثرة أولادها وعزة قبيلتها وبيتها، فلما اجتمعوا إليها ذمرتهم لقتال خالد فهاجوا لذلك، وناشب إليهم آخرون من بنى سُلَيم وطئ وهوازن وأسد فصاروا جيشًا كثيفًا، وتفحل أمر هذه المرأة، فلما سمع بهم خالد بن الوليد سار إليهم واقتتلوا قتالاً شديداً وهى راكبة على جمل أمها الذى كان يقال له: من نخسه فله مائة من الإبل وذلك لعزها، فهزمهم خالد وعقر جملها وقتلها، وبعث بالفتح إلى الصديق[2].

د - دروس وعبر وفوائد:

● ثقة الصديق بالله وخبرته الحربية:

قول الصديق لعدى بن حاتم: أدرك قومك لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم. فيه مثال على قوة يقين أبى بكر رضى الله عنه وثقته بنصر الله، فقد حكم على نتيجة المعركة مع طىء قبل الدخول فيها، وفى أمر أبى بكر خالداً رضى الله عنهما بأن يبدأ بحرب قبيلة طىء مع أنها أبعد من تجمع طليحة خطة حربية ناجحة، وذلك ليحول دون انضمام طىء إلى طليحة، وليضطر من انضم إليه منهم إلى التخلى عنه للدفاع عن قبيلتهم، ثم فى إظهار أبى بكر أنه خارج جهة خيبر ليلاقى خالداً ببلاد طىء تخطيط حربى بارع وذلك لإرهاب تلك القبيلة والقبائل المجاورة، وتظهر براعة الصديق فى اختيار الرجال أن اختار لهذه المهمة التى لها ما بعدها أبا سليمان خالد بن الوليد الذى لم تنتكس له راية[3]، وفى خطاب الصديق لخالد بعد انتهاء معركة بزاخة فوائد منها: الدعاء لخالد الذى يفهم منه الثناء عليه بإحسان، كما يتضمن أمره بتقوى الله وذلك فيه العصمة من الوقوع فى الزلل واتباع الهوى، كما أمره بالجد والحزم مع الأعداء لأنهم مازالوا فى فورة طغيانهم، وهذا موقف قوى يدل على حزم الصديق رضى الله عنه وبصيرته النافذة، فهناك قبائل لا تزال متحيرة ومترددة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والخير والشر، والإيمان والكفر، بحاجة إلى تأديب وردع، حتى يزول طغيانهم، فالموقف من أبى بكر يقتضى أعلى درجات القوة والحزم والسرعة، فكانت منه القوة فى محل القوة، كما كان منه اللين فى محل اللين.

(١، ٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٢٣).

(٣) التاريخ الإسلامى للحميدى (٩/ ٦٠ - ٦٣).

قال الشاعر:

ووضع النَّدَى فى موضع السيف للندى مُضرٌّ كوضع السيف فى موضع الندى(١)

وفى موقف الصديق فى عدم قبول استسلام هؤلاء المحاربين وعدم قبول الصلح إلا بحرب مجلية أو خطة مخزية إظهار عزة الإسلام وهيبة دولته، فكانت شروطه فى الصلح قوية وكان من أشدها عليهم مصادرة أسلحتهم وخيولهم، وكان هذا الشرط مؤقتا بظهور صدق توبتهم وخضوعهم لدولة الإسلام، وقد كان لابد منه لضمان عدم عودتهم إلى التمرد مرة أخرى(٢).

● **نصح عدى بن حاتم لقومه والحرب النفسية التى شنها عليهم:**

قدم عدى على قومه طيء فدعاهم للرجوع للإسلام فقالوا: لا نبايع أبا الفصيل أبداً(٣)، فقال: لقد أتاكم قوم ليُبيحُنَّ حريمكم ولتَكُنُنَّهُ بالفحل الأكبر فشأنكم به. فقالوا له: فاستقبل الجيش فنهنهه(٤) عنا حتى نستخرج من لحق بالبُزاخة منا فإنا إن خالفنا طليحة وهم فى يديه قتلهم أو ارتهنهم. فاستقبل عدىٌّ خالداً وهو بالسُّنْح فقال: يا خالد أمسك عنى ثلاثًا يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوك وذلك خير من أن تُعْجلهم إلى النار وتتشاغل بهم، ففعل، فعاد عدى بإسلامهم إلى خالد(٥)، فهذا موقف استطاع فيه عدى أن يقنع قبيلته بفرعيها بنى الغوث وبنى جديلة بالتخلى عن معسكر طليحة والانضمام إلى جيش خالد بن الوليد وهذا تحوُّل مهم فى تقرير نتائج معركة بزاخة الحاسمة، فهذا موقف عظيم يسجل لعدى رضى الله عنه إلى جانب موقفه الأول حينما قدم على الصديق بصدقات قومه، وكان المسلمون بأمس الحاجة إلى المال آنذاك، ولقد كان إسلامه من أول يوم إسلام رجل العلم والفهم، فكان عن قناعة واختيار، وكان واثقًا من انتصار الإسلام والمسلمين فى النهاية، كما بشره بذلك النبى ﷺ يوم إسلامه، فكان لإيمانه القوى أثر فى إقناع قومه فى العدول عما توجهوا إليه من

---

(١) التاريخ الإسلامى (٩/٦٤، ٦٥).

(٢) نفس المصدر السابق (٩/٦٦).

(٣) يريدون بذلك أبا بكر رضى الله عنه، والبكر والفصيل: اسمان لولد الناقة.

(٤) أى: ادفعه وكفه.

(٥) التاريخ الإسلامى (٩/٥٧).

مناصرة أعداء الإسلام، ولم تكن قناعتهم إلى حد الحياد والانتظار حتى يروا لمن تكون الدائرة، بل انضم منهم ألف وخمسمائة إلى جيش المسلمين، مما يدل على مبلغ أثره فيهم(١). وجاء فى رواية: أن قومه طلبوا من خالد بأن يقاتلوا قيسًا لأن بنى أسد حلفاؤهم فقال لهم خالد: والله ما قيس بأوهن الشوكتين، اصمدوا إلى أى القبيلتين أحببتم، فقال عدى: لو ترك هذا الدين أسرتى الأدنى فالأدنى من قومى لجاهدتهم عليه فأنا أمتنع من جهاد بنى أسد لحلفهم! لا لعمر الله لا أفعل. فقال له خالد: إن جهاد الفريقين جميعًا جهاد لا تخالف رأى أصحابك، امضِ إلى أحد الفريقين وامضِ بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط(٢). وفى إنكار عدى على قومه دليل على قوة إيمانه وغزارة علمه حيث والى أولياء الله وإن كانوا بعيدين عنه فى النسب، وتبرأ من أعداء الله وإن كانوا من أقاربه(٣)، كما تظهر خبرة خالد بن الوليد الحربية حينما أمر عديًا بأن لا يخالف قومه فى تمنعهم فى مواجهة حلفائهم بنى أسد، وأن يوجههم إلى الوجه الجهادى الذى يكونون فيه أنشط على القتال(٤).

لقد كان الدور الذى قام به عدى فى دعوة قبيلته إلى الانضمام إلى جيش المسلمين عظيمًا، فكان دخول طىء فى جيش خالد أول وهن أصيب به الأعداء، لأن قبيلة طىء من أقوى قبائل جزيرة العرب، وممن كانت القبائل تحسب لها حسابًا وتنظر إليها باعتبارها على درجة من القوة بحيث كانت مرهوبة الجانب عزيزة فى بلادها، تتقرب إليها جاراتها بالتحالف معها. لقد التقى الجمعان بعد أن دب الوهن فى نفوس الأعداء، فكتب الله النصر لجيش المسلمين، فسرعان ما طفقوا يقتلون ويأسرون حتى أبادوا جميع أعدائهم وهرب قائدهم طليحة على فرسه، ولم يسلم منهم إلا من استسلم أو هرب، وبعد هذه الوقعة انتشر الضعف فى نفوس المرتدين من قبائل الجزيرة فأصبح الجيش الإسلامى لا يجد عناء فى هزيمة من تجمع منهم فى أماكن أخرى(٥).

---

(١) التاريخ الإسلامى (٩/٦١).

(٢) تاريخ الطبرى (٤/٧٥).

(٣، ٤) التاريخ الإسلامى (٩/٦١).

(٥) الحرب النفسية من منظور إسلامى، د. أحمد نوفل (٢/١٤٣، ١٤٤).

أسباب هزيمة طليحة بن خويلد الأسدى:

كانت هناك مجموعة من الأسباب ساهمت فى هزيمة طليحة الأسدى منها:

● إن المسلمين كانوا يقاتلون مدفوعين بعقيدة راسخة ويقين بنصر الله وحب فى الشهادة، فكان حب الموت فى سبيل الله تعالى سلاحًا معنويًا فتاكًا، فكان خالد يرسل للمرتدين هذه الكلمات القلائل: لقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة(١)، ولقد عرف العدو نفسه من خلال تعامله مع قوات المسلمين فى المعارك التى خاضوها معه صدقهم فى تنفيذ هذا المبدأ، فقد سأل طليحة الأسدى قومه لما انهزموا فى موقعة بزاخة مع جيش خالد بشيء كبير من الحنق والتعجب: (ويلكم ما يهزمكم؟) فقال رجل منهم: أنا أخبركم إنه ليس رجل (منَّا) إلا وهو يحب أن يموت قبله صاحبه، وإنا نلقى أقواماً كلهم يحب أن يموت قبل صاحبه(٢).

● كان لانضمام طيء أثره فى تقوية المسلمين وإضعاف أعدائهم، كما كان مقتل الصحابيين عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم قد زاد من غيظ المسلمين ودفعهم إلى قتال أعدائهم، كما كان لتورية أبى بكر الصديق تأثير على طيء فى عدم التعاون مع حلفائها وبقائها فى مواضعها الأصلية، وأما التورية المشار إليها فإن الصديق أوهم الناس أنه متوجه إلى خيبر بدلاً من الجهة الأصلية التى حُدِّدت للجيش، كما كان لإفساح المجال لطيء كى تقاتل قيسًا كما أرادت شجعها على الاستقلال فى الحرب، إذ لو أمر خالد على أن يقاتلوا حلفاءهم من بنى أسد كما أراد عدى بن حاتم لقصرت طيء فى حربها أيما تقصير(٣)، وغير ذلك من الأسباب.

● من نتائج معركة بزاخة:

القضاء على قوة أحد الأدعياء الأقوياء وعودة فريق كبير من العرب إلى حظيرة الإسلام، فقد أقبلت بنو عامر بعد هزيمة بزاخة يقولون: ندخل فيما خرجنا منه، فبايعهم خالد على ما بايع عليه أهل بزاخة من أسد وغطفان وطيء قبلهم، وأعطوه بأيديهم على الإسلام، ولم يقبل أحد من أسد ولا غطفان ولا هوازن ولا سليم ولا طيء إلا أن يأتوه

---

(١) حركة الردة للعتوم، ص ٢٨٩.

(٢) تاريخ الخمسين للديار بكرى (٢/٢٠٧) نقلاً عن حركة الردة للعتوم، ص ٢٨٩.

(٣) خالد بن الوليد، شيت خطاب، ص (٩٦، ٩٧) نقلاً عن حروب الردة، أحمد سعيد، ص ١٢٤.

بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على أهل الإسلام فى حال ردتهم . فأتوه بهم... فمثل خالد ابن الوليد بالذين عدوا على الإسلام فأحرقهم بالنيران ورضخهم بالحجارة ورمى بهم فى الجبال ونكسهم فى الآبار، وخَرَّقهم بالنبال، وبعث بقرة بن هبيرة والأسارى، وكتب إلى أبى بكر: إن بنى عامر أقبلت بعد إعراض ودخلت فى الإسلام بعد تربص، وإنى لم أقبل من أحد قاتلنى أو سالمنى شيئًا حتى يجيئونى بمن عدا على المسلمين فقتلتهم كل قتلة وبعثت إليك بقرة وأصحابه(١)، وكان عيينة بن حصن من بين الأسرى فأمر خالد بشد وثاقه تنكيلاً به، وبعثه إلى المدينة ويداه إلى عنقه إزراء عليه وإرهابًا لسواه، فلما دخل المدينة على هيئته تلقاه صبيان المدينة مستهزئين، وأخذوا يلكزونه بأيديهم الصغيرة قائلين: (أى عدو الله! ارتددت عن الإسلام!!) فيقول: والله ما كنت آمنت قط، وجىء به إلى خليفة رسول الله ولقى من الخليفة سماحة لم يصدقها، وأمر بفك يديه ثم استتابه، فأعلن عيينة توبة نصوحًا واعتذر عما كان منه وأسلم وحسن إسلامه(٢).

ومضى طليحة حتى نزل كلب (٣) على النقع فأسلم، ولم يزل مقيمًا فى كلب حتى مات أبو بكر وكان إسلامه هنالك حين بلغه أن أسدًا وغطفان وعامرًا قد أسلموا، ثم خرج نحو مكة معتمرًا فى إمارة أبى بكر ومرَّ بجنبات المدينة فقيل لأبى بكر: هذا طليحة، فقال: ما أصنع به! خلوا عنه فقد هداه الله للإسلام(٤)، وقد جاء عند ابن كثير: وأما طليحة فإنه راجع الإسلام بعد ذلك أيضًا وذهب إلى مكة معتمرًا أيام الصديق، واستحيا أن يواجهه مدة حياته، وقد منع الصديق المرتدين من المشاركة فى فتوحاته بالعراق والشام، ويحتمل أن يكون ذلك من باب الاحتياط لأمر الأمة، لأن من كان له سوابق فى الضلال والكيد للمسلمين لا يُؤمن أن يكون رجوعه من باب الاستسلام لقوة المسلمين، فأبو بكر رضى الله عنه من الأئمة الذين يرسمون للناس خط سيرهم، ويتأسى بهم الناس بأقوالهم وأفعالهم، فهو لذلك يأخذ بمبدأ الاحتياط لما فيه صالح الأمة وإن كان فى ذلك وضع من شأن بعض الأفراد (٥)، وهذا درس عظيم تتعلمه الأمة فى عدم وضع

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/٨٢).

(٢) الصديق أول الخلفاء، ص ٨٧.

(٣) أى: نزل فى قبيلة كلب.

(٤) التاريخ الإسلامى (٩/٥٩).

(٥) نفس المصدر السابق (٩/٦٧).

الثقة بمن كانت لهم سوابق فى الإلحاد ثم ظهر منهم العودة إلى الالتزام بالدين.

إن وضع الثقة الكاملة بهؤلاء وإسناد الأعمال القيادية لهم قد جرَّ على الأمة أحيانا ويلات كثيرة، وأوصلها إلى مآزق خطيرة، على أن أخذ الحذر من مثل هؤلاء لا يعنى اتهامهم فى دينهم ولا نزع الثقة منهم بالكلية، وهذا معلم من سياسة الصديق فى التعامل مع أمثال هؤلاء[1].

هذا وقد حسن إسلام طليحة وأتى عمر إلى البيعة حين استخلف وقال له عمر: أنت قاتل عكاشة وثابت[2]، والله لا أحبُّك أبداً، فقال: يا أمير المؤمنين ما تهتم من رجلين أكرمهما الله بيدى ولم يُهِنِّى بأيديهما! فبايعه عمر ثم قال له: يا خُدَع ما بقى من كهانتك؟ قال: نفخة أو نفختان بالكير، ثم رجع إلى دار قومه فأقام بها حتى خرج إلى العراق[3]، وقد كان إسلامه صحيحًا ولم يُغْمض[4] عليه فيه، وقال يعتذر ويذكر ما كان منه:

ندمت على ما كان من قتل ثابت ... وعُكَّاشة الغُنْمِىِّ ثم ابن معبد

وأعظم من هاتين عندى مصيبةً ... رجوعى عن الإسلام فعل التعمُّد

وتركى بلادى والحوادث جَمَّةٌ ... طريداً وقِدْمًا كنتُ غير مطرَّد

فهل يقبل الصديق أنى مراجع ... ومُعطٍ بما أحدثتُ من حدثٍ يدى

وأنى من بعد الضلالة شاهد ... شهادة حقٍّ لست فيها بملحد

بأن إله الناس ربى وأننى ... ذليل وأن الدين دينُ محمد[5]

هـ - قصة الفجاءة:

واسمه إياس بن عبدالله بن عبد ياليل بن عمير بن خُفَاف من بنى سُليم قاله ابن اسحاق، وقد كان الصديق حرَّق الفجاءة بالبقيع فى المدينة، وكان سببه أنه قدم عليه

---

(١) التاريخ الإسلامى (٩/٦٧).

(٢) عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم رضى الله عنهما.

(٣) التاريخ الإسلامى (٩/٥٩)؛ تاريخ الطبرى (٤/٨١).

(٤) بطعن فيه.

(٥) ديوان الردة للعتوم، ص ٨٦.

فزعم أنه أسلم، وسأل منه أن يجهز معه جيشاً يقاتل به أهل الردة فجهز معه جيشاً فلما سار جعل لا يمر بمسلم ولا مرتد إلا قتله وأخذ ماله، فلما سمع الصديق بعث وراء جيشاً فردَّه، فلما أمكنه الله منه بعث به إلى البقيع، فجمعت يداه إلى قفاه وألقى فى النار فحرقه وهو مقموط[١][٢]، وكان الذى ألقى القبض عليه طريفة بن حاجز، وهذا يظهر لنا دور مسلمى سليم فى محاربة المفسدين فى الأرض والمرتدين[٣].

وهذه العقوبة بسبب غدر الفجاءة، أو لأنه قد يكون ارتكب فى ضحاياه من المسلمين جريمة الإحراق مرة أو مرات[٤].

و - ما قاله حسان فيمن قال لا نطيع أبا الفصيل يعنون أبا بكر:

ما البكرُ إلا كالفصيل وقد ترى ... أن الفصيل عليه ليس بعار

إنا وما حجّ الحجيج لبيته ... ركبان مكة معشر الأنصار

نفرى جماجمكم بكلّ مهند ... ضرب القُدار[٥] مبادىء الأيسار[٦]

حتى تُكَنُّوه بفحل هنيدة[٧] ... يحمى الطروقة بازل هدَّار[٨]

٣ - سجاح وبنو تميم ومقتل مالك بن نويرة اليربوعى:

أ - كانت بنو تميم قد اختلفت آراؤهم أيام الردة، منهم من ارتد ومنع الزكاة، ومنهم من بعث بأموال الصدقات إلى الصديق، ومنهم من توقف لينظر فى أمره، فبينما هم كذلك إذ أقبلت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عُقفان التغلبية من الجزيرة وهى من نصارى العرب، وقد ادعت النبوة ومعها جنود من قومها ومن التف بهم، وقد عزموا

---

(١) أى: شدت يداه ورجلاه كهيئة المهاد للطفل.

(٢) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، ص١٠٦.

(٣) الثابتون على الإسلام، ص ٢٧.

(٤) حركة الردة للعتوم، ص١٨٥.

(٥) القدار: الجزار.

(٦) المبادئ: الظواهر وهى مفاصل الجزور وما عليها من اللحم - جمع بدء، الأيسار: جمع يسر وهو الجزور.

(٧) هنيدة: اسم لمئة ناقة من الإبل.

(٨) ديوان الردة للعتوم، ص ١٣٧.

على غزو أبى بكر الصديق، فلما مرت ببلاد بنى تميم دعتهم إلى أمرها فاستجاب لها عامتهم، وكان ممن استجاب لها مالك بن نويرة التميمى وعطارد بن حاجب وجماعة من سادات أمراء بنى تميم، وتخلَّف آخرون منهم عنها، ثم اصطلحوا على أن لا حرب بينهم، إلا أن مالك بن نويرة لما وادعها ثناها عن عزمها وحرَّضها على بنى يربوع، ثم اتفق الجميع على قتال الناس وقالوا: بمن نبدأ؟ فقالت لهم فيما تسجعه: أعدوا الركاب، واستعدوا للنهاب، ثم أغيروا على الرباب[1] فليس دونها حجاب، ثم استطاع بنو تميم إقناعهم بقصد اليمامة لتأخذها من مسيلمة بن حبيب الكذاب فهابه قومها، وقالوا: إنه قد استفحل أمره وعظم، فقالت لهم فيما تقوله: عليكم باليمامة دفوا دفيف الحمامة فإنها غزوة صرَّامة لا تلحقكم بعدها ملامة، فعمدوا لحرب مسيلمة فلما سمع بمسيرها إليه خافها على بلاده، وذلك أنه مشغول بمقاتلة ثمامة بن أثال، وقد ساعده عكرمة بن أبى جهل بجنود المسلمين وهم نازلون ببعض بلاده ينتظرون قدوم خالد، فبعث إليها يستأمنها ويضمن لها أن يعطيها نصف الأرض الذى كان لقريش لو عدلت، فقد رده الله عليك فحباك به، وراسلها ليجتمع بها فى طائفة من قومه، فركب إليها فى أربعين من قومه، وجاء إليها فاجتمعا فى خيمة فلما خلا بها وعرض عليها ما عرض من نصف الأرض وقبلت ذلك، قال مسيلمة: سمع الله لمن سمع وأطعمه بالخير إذا طمع، ولا يزال أمره فى كل ما يسر مجتمع، ثم قال لها: هل لك أن أتزوجك وآكل بقومى وقومك العرب؟ قالت: نعم، وأقامت عنده ثلاثة أيام ثم رجعت إلى قومها، فقالوا: أصدقك؟ فقالت: لم يصدقنى شيئًا، فقالوا: إنه قبيح على مثلك أن تتزوج بغير صداق فبعثت إليه تسأله صداقًا، فقال: أرسلى إلىَّ مؤذنك فبعثته إليه وهو شبث بن ربعى الرياحى - فقال: ناد فى قومك: أن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد - يعنى صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة - فكان هذا صداقها عليه -، ثم انثنت سجاح راجعة إلى بلادها وذلك حين بلغها دنو خالد من أرض اليمامة فكرَّت راجعة إلى الجزيرة بعدما قبضت من مسيلمة نصف خراج أرضه، فأقامت فى قومها بنى تغلب إلى زمان معاوية فأجلاهم منها عام الجماعة[2].

كان مالك قد صانع سجاح حين قدمت من أرض الجزيرة فلما اتصلت بمسيلمة ثم ترحلت إلى بلادها ندم مالك بن نويرة على ما كان من أمره وتلوم فى شأنه وهو نازل

---

(١) الرباب: فرع من بنى تميم.

(٢) البداية والنهاية (٦/٣٢٦).

بمكان يقال له: البُطاح[1]، فقصده خالد بجنوده وتأخرت عنه الأنصار وقالوا: إنا قد قضينا ما أمرنا به الصديق، فقال لهم خالد: إن هذا أمر لابد من فعله وفرصة لابد من انتهازها، وإنه لم يأتنى فيها كتاب وأنا الأمير وإلىَّ ترد الأخبار، ولست بالذى أجبركم على المسير وأنا قاصد البُطاح فسار يومين ثم لحقه رسول الأنصار يطلبون منه الانتظار فلحقوا به، فلما وصل البطاح وعليها مالك بن نويرة بَثْ خالد السرايا فى البُطاح يدعون الناس فاستقبله أمراء بنى تميم بالسمع والطاعة، وبذلوا الزكوات إلا ما كان من مالك بن نويرة فإنه متحير فى أمره متنح عن الناس فجاءته السرايا فأسروه وأسروا معه أصحابه، واختلفت السرية فيهم فشهد أبو قتادة - الحارث بن ربعى الأنصارى - أنهم أقاموا الصلاة، وقال آخرون: إنهم لم يؤذنوا ولا صلوا فيقال: إن الأسارى باتوا فى كبولهم فى ليلة شديدة البرد، فنادى منادى خالد: أن أدفئوا أسراكم، فظن القوم أنه أراد القتل فقتلوهم وقتل ضرار بن الأزور مالك بن نويرة، فلما سمع خالد الواعية خرج وقد فرغوا منهم. فقال: إذا أراد الله أمرًا أصابه، ويقال: بل استدعى خالد مالك بن نويرة فأَنَّبه على ما صدر منه من متابعة سجاح وعلى منعه الزكاة وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصلاة؟ فقال مالك: إن صاحبكم كان يزعم ذلك، فقال: أهو صاحبنا وليس بصاحبك؟ يا ضرار اضرب عنقه، فضربت عنقه وقد تكلم أبو قتادة مع خالد فيما صنع وتقاولا فى ذلك، حتى ذهب أبو قتادة فشكاه إلى الصديق وتكلم عمر مع أبى قتادة فى خالد وقال للصديق: اعزله فإن فى سيفه رَهقًا، فقال أبو بكر: لا أشيم سيفًا سلَّه الله على الكفار، وجاء متمم بن نويرة فجعل يشكو إلى الصديق خالداً وعمر يساعده وينشد الصديق ما قال فى أخيه من المراثى، فوداه الصديق من عنده[2].

دروس وعبر وفوائد:

أ - من ثبت على الإسلام من بنى تميم:

لم يرتد عن الإسلام كل قبائل أو كل أفراد أو كل رؤساء بنى تميم، كما حاول أن يصور ذلك بعض من المؤرخين المحدثين، والحقيقة أنه لقوة إسلام وثبات بعض بطون وأفراد ورؤساء بنى تميم، فقد استطاع مالك بن نويرة إقناع سجاح التميمية بقتالهم قبل قتالها أبا بكر الصديق، وعندما واجهت مسلمى تميم تلقت على أيديهم هزيمة نكراء

---

(١) البطاح: ماء من ديار بنى أسد بأرض نجد.

(٢) البداية والنهاية (٦/٣٢٧).

فعدلت بعدها عن الذهاب إلى المدينة، وتوجهت إلى اليمامة، وقد تضافرت الروايات التاريخية لتؤكد هذه الحقيقة التى ذكرناها[١]، بل إن التدقيق فى الروايات يبين أن من ثبت على الإسلام من بنى تميم كان أكثر من المترددين والمرتدين، وتعكس بعض الروايات دور قبيلة الرباب بصفة خاصة فى الوقوف فى وجه المرتدين، ولذلك استحقت من سجاح وجماعتها الحرب.

وتشير بعض الروايات إلى المواجهة العظيمة التى وقعت بين الرباب وسجاح وانتهت أخيراً بالصلح عندما فشلت سجاح فى إخضاع مسلمى تميم، وإلى ندم قيس بن عاصم على متابعة المرتدين، وسوقه صدقات قومه إلى المدينة وكانت الدائرة على سجاح وجماعتها[٢].

ب - خالد ومقتل مالك بن نويرة:

اختلفت الآراء فى مقتل مالك بن نويرة اختلافًا كثيراً: أقتل مظلومًا أم مستحقًا أى أكافراً قتل أم مسلمًا؟ وقام الدكتور على العتوم بتحقيق هذه المسألة فى كتابه «حركة الردة» وتعرض الشيخ محمد الطاهر بن عاشور فى كتابه «نقد علمى لكتاب الإسلام وأصول الحكم» لهذه القضية[٣]، وقام الشيخ محمد زاهد الكوثرى بالدفاع عن خالد فى كتابه مقالات الكوثرى[٤]، وغير ذلك من الباحثين، واخترت من بين من بحث هذا الموضوع ما ذهب إليه الدكتور على العتوم لأنه حقق المسألة تحقيقًا علمياً متميزاً، واهتم بأحداث الردة اهتمامًا لم أجده - على حسب اطلاعى - عند أحد من الباحثين المعاصرين، وخرج بنتيجة أوافقه عليها: أن الذى أردى مالكًا: كبره وتردده فقد بقى للجاهلية فى نفسه نصيب وإلاَّ لما ماطل هذه المماطلة فى التبعية للقائم بأمر الإسلام بعد رسول الله ﷺ وفى تأدية حق بيت مال المسلمين عليه المتمثل بالزكاة، وفى تصورى أن الرجل كان يحرص على زعامته ويناكف - فى الوقت نفسه - بعض أقربائه من زعماء بنى تميم الذين وضعوا عصا الطاعة للدولة الإسلامية، وأدوا ما عليهم لها من واجبات،

---

(١) الثابتون على الإسلام، ص٤٤.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٤٨.

(٣) نقد علمى لكتاب الإسلام وأصول الحكم، ص٣٣.

(٤) مقالات الكوثرى، ص٣١٢ نقلاً عن الخلفاء الراشدون للذهبى، ص٣٦.

ولقد كانت أفعاله وأقواله على السواء تؤيد هذا التصور، فارتداده ووقوفه بجانب سجاح وتفريقه إبل الصدقة على قومه، بل ومنعهم من أدائها لأبى بكر وعدم إصاخته لنصائح أقربائه المسلمين فى تمرده، كل ذلك يدينه ويجعل منه رجلاً أقرب إلى الكفر منه إلى الإسلام.

ولو لم يكن مما يحتج به على مالك إلا منعه للزكاة لكفى ذلك مُسَوِّغًا لإدانته، وهذا المنع مؤكد عند الأقدمين فقد جاء فى «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام قوله: والمجمع عليه: أن خالداً حاوره ورادَّه وإن مالكًا سمح بالصلاة والتوى بالزكاة[1]، جاء فى «شرح النووى لصحيح مسلم» قوله عن المرتدين: كان فى ضمن هؤلاء من يسمح بالزكاة ولا يمنعها إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك، وقبضوا على أيديهم فى ذلك كبنى يربوع فإنهم قد جمعوا صدقاتهم وأرادوا أن يبعثوها إلى أبى بكر رضى الله عنه، فمنعهم مالك ابن نويرة من ذلك وفرَّقها[2].

ج - زواج خالد بأم تميم:

أم تميم هى ليلى بنت سنان المنهال زوج مالك بن نويرة، وهذا الزواج حدث حوله جدل كثير واتهم من لهم أغراض خالداً بعدة تهم لا تصح ولا تثبت أمام البحث العلمى النزيه، وخلاصة القصة فهناك من اتهم خالداً بأنه تزوج أم تميم فور وقوعها فى يده لعدم صبره على جمالها ولهواه السابق فيها، وبذلك يكون زواجه منها - حاشا لله - سفاحًا، فهذا القول مستحدث لا يعتد به[3]، إذ خلت المصادر القديمة من الإشارة إليه، بل هى على خلافه فى نصوصها الصريحة، يذكر الماوردى أن الذى جعل خالداً يقوم على قتل مالك هو منعه للصدقة التى استحل بها دمه، وبذلك فسد عقد المناكحة بينه وبين أم تميم[4]، وحكم نساء المرتدين إذا لحقن بدار الحرب أن يسبين ولا يقتلن، كما يشير إلى ذلك الإمام السرخسى[5]، فلما صارت أم تميم فى السبى اصطفاها خالد لنفسه فلما

---

(١) طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، ص١٧٢.

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم (١/٢٠٣).

(٣) ما قاله الجنرال الباكستانى أكرم: ففى نفس الليلة تزوجها خالد، ص ١٩٨ كتابه سيف الله خالد.

(٤) الأحكام السلطانية، ص ٤٧ نقلاً عن حركة الردة، ص ٢٢٩.

(٥) المبسوط (١٠/١١١) نقلاً عن حركة الردة، ص ٢٢٩.

حلّت بنى بها[1]، ويعلق الشيخ أحمد شاكر على هذه المسألة بقوله: إن خالداً أخذها هى وابنها ملك يمين بوصفها سبية، إذ إن السبية لا عدة عليها، وإنما يحرم حرمة قطعية أن يقربها مالكها إن كانت حاملاً قبل أن تضع حملها، وإن كانت غير حامل حتى تحيض حيضة واحدة، ثم دخل بها، وهو عمل مشروع جائز لا مغمز فيه ولامطعن إلا أن أعداءه والمخالفين عليه رأوا فى هذا العمل فرصتهم فانتهزوها، وذهبوا يزعمون أن مالك بن نويرة مسلم وأن خالداً قتله من أجل امرأته[2]، وقد اتهم خالد بأنه فى زواجه هذا خالف تقاليد العرب فقد قال العقاد: قتل خالد مالك بن نويرة وبنى بامرأته فى ميدان القتال على غير ما تألفه العرب فى جاهلية وإسلام، وعلى غير ما يألفه المسلمون وتأمر به الشريعة[3]، فهذا القول بعيد عن الصحة فقد كان يحصل كثيراً فى حياة العرب قبل الإسلام إثر حروبهم وانتصاراتهم على أعدائهم أن يتزوجوا من السبايا، وكانوا يفخرون بذلك، ولذلك كثر فيهم أولاد السبايا، وهذا حاتم الطائى يقول:

وما أنكحونا طائعين بناتهم ... ولكن خطبناها بأسيافنا قسراً

وكائن ترى فينا من ابن سَبِيَّةٍ ... إذا لقى الأبطال يطعنُهم شزراً

ويأخذ رايات الطعان بكفِّه ... فيوردها بيضًا ويصدُرها حمرا[4]

وأما من الناحية الشرعية فقد أتى خالد أمراً مباحًا وسلك إليه سبيلاً مشروعة أتاه من هو أفضل منه، فإذا كان قد أخذ عليه زواجه إبَّان الحرب أو فى أعقابها، فإن رسول الله ﷺ تزوج بجويرية بنت الحارث المصطلقية إثر غزوة المريسيع، وقد كانت فى سبايا بنى المصطلق فقضى عنها كتابتها وتزوجها، وكان بها طابع يمن وبركة على قومها، إذ أعتق لهذا الزواج مائة رجل من أسراهم لأنهم أصبحوا أصهاراً لرسول الله ﷺ، وكان من آثاره المباركة كذلك إسلام أبيها الحارث بن ضرار[5]، كما أنه عليه الصلاة والسلام تزوج بصفية بنت حيى بن أخطب اليهودى إثر غزوة خيبر وبنى بها فى خيبر أو ببعض

---

(١) البداية والنهاية (٦/٣٢٦).

(٢) حركة الردة للعتوم، ص٢٣٠.

(٣) عبقرية الصديق، ص ٧٠.

(٤) العقد الفريد لابن عبدربه (٧/١٢٣).

(٥) سيرة ابن هشام (٢/٢٩٠ - ٢٩٥).

الطريق[١]، وإذا كان رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فقد توارى العتاب وانقطع الملام[٢]، ودفاع الدكتور محمد حسين هيكل عن خالد اتبع فيه منهجية غير مقبولة لأنه ينبغى لنا أن لا نغض الطرف عن مخالفات خالد على حساب الإسلام، فخالد وغيره محكوم بالشرع الذى يعلو ولا يعلى عليه، وإن تنزيه الأشخاص لا يساوى تشويه المنهج بأية حال، فقد قال الدكتور هيكل: وما التزوج من امرأة على خلاف تقاليد العرب بل ما الدخول بها قبل أن يتم تطهيرها إذا وقع ذلك من فاتح غزا فحق له بحكم الغزو أن تكون له سبايا يصبحن ملك يمينه!! إن التزمت فى تطبيق التشريع لا ينبغى أن يتناول النوابغ العظماء من أمثال خالد، وبخاصة إذا كان ذلك يضر بالدولة أو يعرضها للخطر[٣]، ورد الشيخ أحمد شاكر بهذا الخصوص فقال: لشد ما أخشى أن يكون المؤلف تأثر بما قرأ من أخبار نابليون وغيره من ملوك أوربة فى مباذلهم وإسفافهم، وبما كتب الكاتبون من الإفرنج فى الاعتذار عنهم لتخفيف آثامهم بما كان لهم من عظمة وبما أسدوا إلى أممهم من فتوح وأياد،حتى يظن بالمسلمين الأولين أنهم أمثال هؤلاء فيقول: إن التزمت فى تطبيق التشريع لا يجب أن يتناول النوابغ العظماء من أمثال خالد،وهذا قول يهدم كل دين وخلق[٤].

د - دعم الصديق للقيادة الميدانية:

كان بعض رجال من جيش خالد قد شهدوا أن القوم أذّنوا حين سمعوا أذان المسلمين، وأنهم بذلك قد حقنوا دماءهم، وأن قتلهم لا يحل، ومن أولئك القوم أبو قتادة رضى الله عنه، فأكبر الأمر وزاد ذلك عنده أنه رأى خالد بن الوليد قد تزوج امرأة مالك بن نويرة ففارق أبو قتادة خالداً، وقدم على أبى بكر ليشكو إليه خالداً فيما خالف فيه، فرأى أبو بكر أن فراق أبى قتادة لخالد خطأ لا ينبغى أن يرخص فيه له ولا لغيره، لأنه يكون سبباً للفشل والجيش فى أرض العدو، فاشتد على أبى قتادة ورده إلى خالد، ولم يرض منه إلا أن يعود فينخرط تحت لوائه[٥]، وعمل أبى بكر من أحكم السياسات الحربية.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/٢٣٩).

(٢) حركة الردة للعتوم، ص٢٣٧.

(٣) الصديق أبو بكر، ص١٤٠.

(٤) حركة الردة للعتوم، ص٢٣٢.

(٥) نفس المصدر السابق، ص٢٣١.

وقد قام الصديق بالتحقيق فى مقتل ابن نويرة وانتهى إلى براءة ساحة خالد من تهمة قتل مالك بن نويرة[١]، وأبو بكر فى هذا الشأن أكثر اطلاعًا على حقائق الأمور، وأبعد نظرًا فى تصريفها من بقية الصحابة، لأنه الخليفة وإليه تصل الأخبار كما أنه أرجح إيمانًا منهم، وهو فى معاملته لخالد يحتذى على سنن رسول الله: إذ أنه عليه الصلاة والسلام لم يعزل خالدًا عما ولاه فى الوقت الذى كان يقع منه ما قد لا يرتاح له، وكان يعذره إذ يعتذر، ويقول: «**لا تؤذوا خالدًا فإنه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار**»[٢].

إن من كمال الصديق توليته لخالد واستعانته به لأنه كان شديدًا ليعتدل به أمره ويخلط الشدة باللين، فإن مجرد اللين يفسده ومجرد الشدة تفسده، فكان يقوم باستشارة عمر وباستنابة خالد، وهذا من كماله الذى صار به خليفة رسول الله ﷺ ولهذا اشتد فى قتال أهل الردة شدة برَّز بها على عمر وغيره، فجعل الله فيه الشدة ما لم يكن فيه قبل ذلك، وأما عمر فكان شديدًا فى نفسه فكان من كماله – فى خلافته – استعانته باللين ليعتدل أمره – فكان يستعين بأبى عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص وأبى عبيد الثقفى والنعمان بن مقرن وسعيد بن عامر وأمثال هؤلاء من أهل الصلاح والزهد الذين هم أعظم زهدًا وعبادة من خالد بن الوليد وأمثاله، وقد جعل الله فى عمر من الرأفة – بعد الخلافة – ما لم يكن فيه قبل ذلك تكميلاً له حتى صار أمير المؤمنين[٣].

وقد ذكر ابن تيمية كلاما نفيسًا عن ذلك فقال: .... وهكذا أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ مازال يستعمل خالدًا فى حرب أهل الردة وفى فتوح العراق والشام، وبدت منه هفوات كان له فيها تأويل، وقد ذكر له عنه أنه كان له فيها هوى فلم يعزله من أجلها بل عاتبه عليها، لرجحان المصلحة على المفسدة فى بقائه، وأن غيره لم يكن يقوم مقامه، لأن المتولى الكبير إذا كان خلقه يميل إلى اللين فينبغى أن يكون خلق نائبه يميل إلى الشدة، وإذا كان خلقه يميل إلى الشدة فينبغى أن يكون خلق نائبه يميل إلى اللين ليعتدل الأمر، ولهذا كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يؤثر استنابة خالد،

---

(١) الخلافة والخلفاء الراشدون للبهنساوى، ص١١٢؛ الخلفاء الراشدون للنجار، ص٥٨.

(٢) فتح البارى (٧/ ١٠١).

(٣) أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، ص (١٩٣، ١٩٤).

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يؤثر عزل خالد واستنابة أبى عبيدة بن الجراح [رضى الله عنه، لأن خالداً كان شديداً كعمر بن الخطاب وأبا عبيدة كان لينًا كأبى بكر، وكان الأصلح لكل منهما أن يولى من ولاه ليكون أمره معتدلاً، ويكون بذلك من خلفاء رسول الله الذى هو معتدل[1]، حتى قال النبى ﷺ: «**أنا نبى الرحمة أنا نبى الملحمة**»[2].

٤ - ردة أهل عُمان والبحرين:

أ- ردة أهل عُمان:

كان أهل عُمان قد استجابوا لدعوة الإسلام، وبعث إليهم رسول الله ﷺ عمرو بن العاص، ثم بعد وفاته ﷺ نبغ فيهم رجل يقال له: (ذو التاج) لقيط بن مالك الأزدى وكان يسامى فى الجاهلية الجُلَنْدَى ملك عمان[3]، فادعى النبوة وتابعه الجهلة من أهل عُمان، فتغلب عليها، **وعليها جَيْفر وعبّاد ابنا** الجُلَنْدى[4]، وألجأهما إلى أطرافها من نواحى الجبال والبحر فبعث جيفر إلى الصديق فأخبره الخبر واستجاشه، فبعث إليه الصديق بأميرين وهما: حذيفة بن محصن الغلفانى من حِمْير وعرفجة إلى مَهرة، وأمرهما أن يجتمعا ويتفقا ويبدآ بُعمان وحذيفة هو الأمير، فإذا ساروا إلى بلاد مَهرة، فعرفجة الأمير، وأرسل عكرمة بن أبى جهل مدداً لهم وكتب الصديق إلى عرفجة وحذيفة أن ينتهيا إلى رأى عكرمة بعد الفراغ من السير إلى عُمان أو المقام بها، فساروا فلما اقتربا من عُمان راسلوا جيفراً وبلغ لقيط بن مالك مجيء الجيش، فخرج فى جموعه فعسكر بمكان يقال له: دَبَا وهى مصر تلك البلاد وسوقها العظمى، وجعل الذرارى والأموال وراء ظهورهم ليكون أقوى لحربهم، واجتمع جيفر وعباد بمكان يقال له صُحار، فعسكروا فيه وبعثا إلى أمراء الصديق فقدموا على المسلمين، فتقابل الجيشان هناك وتقاتلوا قتالاً شديداً وابتلى المسلمون وكادوا أن يولوا، فمن الله بكرمه ولطفه أن بعث إليهم مدداً فى الساعة الراهنة من بنى ناجية وعبدالقيس فى جماعة من الأمراء، فلما وصلوا إليهم كان الفتح والنصر، فولى المشركون مدبرين وركب المسلمون ظهورهم، فقتلوا منهم عشرة آلاف مقاتل وسبوا الذرارى وأخذوا الأموال والسوق بحذافيرها،

---

(١) الفتاوى (٢٨/ ١٤٤).

(٢) مسند أحمد (٤/ ٣٩٥ - ٤٠٤ - ٤٠٧).

(٣، ٤) البداية والنهاية (٦/ ٣٣٤)

وبعثوا بالخمس إلى الصديق مع أحد الأمراء وهو عرفجة[١]، وكان السبب فى هذا النصر العظيم وقوف الجماعة الإسلامية فى عُمان مع أميرها جَيفَر وأخيه عباد ضد ذى التاج لقيط بن مالك الأزدى، واعتصامها بالأماكن الحصينة، حتى أدركتها جيوش المسلمين، كما كان لمواقف بنى جُذيد وبنى ناجية وبنى عبد القيس فى ثبوتهم على الإسلام ودخولهم فى المعركة فى الوقت المناسب أثر فى نصر المسلمين[٢].

ب - ردة أهل البحرين:

أسلم أهل البحرين بعد ما أرسل النبى ﷺ العلاء بن الحضرمى إلى ملكها وحاكمها المنذر بن ساوى العبدى، وقد أسلم هو وقومه وأقام فيهم الإسلام والعدل، وقد كان رد المنذر بن ساوى: قد نظرت فى هذا الأمر الذى فى يدى فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت فى دينكم فوجدته للآخرة والدنيا فما يمنعنى من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت، ولقد عجبت أمس ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يرده، وإن من إعظام ما جاء به أن يعظم[٣].

فلما توفى رسول الله ﷺ وتوفى المنذر بعده بمدة قصيرة ارتدَّ أهل البحرين وملَّكوا عليهم المنذر بن النعمان الغرور[٤].

أين هى أرض البحرين؟

أرض البحرين هى شقة ضيقة من الأرض تتشاطىء مع هجر خليج العرب، وتمتد من القطيف إلى عُمان والصحراء فى بعض أنحائها، تكاد تتصل بماء الخليج وهى تتصل باليمامة فى جزئها الأعلى لا يفصل بينهما إلا سلسلة من التلال يهون لانخفاضها اجتيازها[٥].

فهى إذا تشمل إمارات الخليج العربى والجزء الشرقى من المملكة العربية السعودية عدا الكويت[٦].

---

(١) البداية والنهاية (٦/٣٣٥).

(٢) الثابتون على الإسلام، ص (٥٩، ٦٠).

(٣) التراتيب الإدارية (١/١٩).

(٤) حروب الردة، أحمد سعيد، ص (١٤٦).

(٥، ٦) نفس المصدر السابق، ص ١٤٧.

هذا وقد كان لمن ثبت على الإسلام فى البحرين دور كبير فى إخماد هذه الفتنة، وكان للجارود بن المُعَلَّى دور متميز ، فقد صحب رسول الله ﷺ وتفقه فى الدين، ثم رجع إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام فأجابوه كلهم، فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات النبى ﷺ، فقالت عبد القيس: لو كان محمد نبيا لما مات، وارتدوا، وبلغه ذلك فبعث فيهم فجمعهم، ثم قام فخطبهم. فقال: يا معشر عبدالقيس إنى سائلكم عن أمر فأخبرونى به إن علمتموه ولا تجيبونى إن لم تعلموا. قالوا: سل عما بدا لك. قال: تعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم، قال: تعلمونه أو ترون؟ قالوا: لا بل نعلمه، قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا، قال: فإن محمداً ﷺ مات كما ماتوا. وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنك سيدنا وأفضلنا وثبتوا على إسلامهم، فهذا موقف يُذكر للجارود بن المُعَلَّى رضى الله عنه، فقد ثبت الله به قومه عبدالقيس فثبتوا على إسلامهم، وقد ألهمه الله تعالى بضرب المثل بالأنبياء السابقين عليهم السلام، حيث كان نهايتهم الموت، فكذلك رسول الله ﷺ، فاقتنع قومه وزال عنهم الشك، وهذا مما يبين مزية التفقه فى الدين وأثر ذلك فى توجيه الاعتقاد والسلوك، وخاصة عند حدوث الفتن(١).

وقد بقت بلدة جُواثا على الإسلام وكانت أول قرية أقامت الجمعة من أهل الردة كما ثبت ذلك فى البخارى عن ابن عباس، وقد حاصرهم المرتدون و ضيقوا عليهم ومنعوا عنهم الأقوات وجاعوا جوعًا شديداً حتى فرج الله عنهم، وقد قال رجل منهم يقال له عبدالله بن حذف أحد بنى بكر بن كلاب وقد اشتد الجوع:

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً ... وفتيان المدينة أجمعينا

فهل لكمُ إلى قوم كرامٍ ... قعودٍ فى جواثا مُحصَرينا

كأن دماءهم فى كل فج ... شعاع الشمس يُعْشى الناظرينا

توكلنا على الرحمن إنا ... وجدنا النصر للمتوكلينا(٢)

---

(١) التاريخ الإسلامى (٩/٩٧).

(٢) البداية والنهاية (٦/٣٣٢).

فهذا موقف يذكر فى الثبات على الحق لهؤلاء المسلمين الذين حصرهم الأعداء فى (جُواثا) حتى كادوا يهلكون من الجوع، وفى الأبيات المذكورة فى الرواية التى قالها عبدالله بن حذف دليل على عمق إيمان هؤلاء المحصورين وقوة توكلهم على الله تعالى وثقتهم بنصره(١).

بعث الصديق بجيش إلى البحرين بقيادة العلاء بن الحضرمى، فلما دنا من البحرين انضم إليه ثُمامة بن أُثَال فى محفل كبير من قومه بنى سحيم، واستنهض المسلمين فى تلك الأنحاء، وأمد الجارود بن المعلى العلاء برجال من قومه فاجتمع إليه جيش كبير قاتل به المرتدين ونصر الله به المؤمنين، وكان ممن آزر العلاء لقمع فتنة البحرين قيس بن عاصم المِنْقَرى وعفيف بن المنذر والمثنى بن حارثة الشيبانى(٢).

● **كرامة للعلاء بن الحضرمى:**

كان العلاء من سادات الصحابة العلماء العباد مجابى الدعوة، اتفق له فى هذه الغزوة أنه نزلا منزلاً(٣)، فلم يستقر الناس على الأرض حتى نفرت الإبل بما عليها من زاد الجيش وخيامهم وشرابهم، وبقوا على الأرض ليس معهم شىء سوى ثيابهم – وذلك ليلاً – ولم يقدروا منها على بعير واحد، فركب الناس من الهم و الغم مالا يُحَدُّ ولا يُوصَف، وجعل بعضهم يوصى إلى بعض، فنادى منادى العلاء فاجتمع الناس إليه، فقال: أيها الناس ألستم المسلمين؟ ألستم فى سبيل الله؟ ألستم أنصار الله؟ قالوا: بلى قال: فابشروا فوالله لا يخذل الله من كان فى مثل حالكم، ونودى لصلاة الصبح حين طلع الفجر فصلى الناس، فلما قضى الصلاة جثا على ركبتيه وجثا الناس ونصب فى الدعاء ورفع يديه، وفعل الناس مثله حتى طلعت الشمس وجعل الناس ينظرون إلى سراب الشمس يلمع مرة بعد أخرى، وهو يجتهد فى الدعاء ويكرره، فلما بلغ الثالثة إذا قد خلق الله إلى جانبهم غديراً عظيمًا من الماء القراح، فمشى ومشى الناس إليه فشربوا واغتسلوا، فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل من كل فج بما عليها، لم يفقد الناس من أمتعتهم سِلْكًا،

---

(١) التاريخ الإسلامى للحميدى (٩/٩٨).

(٢) الثابتون على الإسلام، ص ٦٣.

(٣) فى طبقات ابن سعد (٤/٣٦٣): حدد منزله بالدهناء وهى صحراء رملية بين نجد والأحساء.

فسقوا الإبل عَلَلاً بعد نَهَلٍ[1]، فكان هذا مما عاين الناس من آيات الله بهذه السرية[2].

● **هزيمة المرتدين:**

ثم لما اقترب من جيوش المرتدة – وقد حشدوا وجمعوا خلقًا عظيمًا – نزل ونزلوا وباتوا مجاورين فى المنازل، فبينما المسلمون فى الليل إذ سمع العلاء أصواتًا عالية فى جيش المرتدين، فقال: من رجل يكشف لنا خبر هؤلاء؟ فقام عبدالله بن حذف فدخل فيهم فوجدهم سُكارى لا يعقلون من الشراب فرجع إليه فأخبره، فركب العلاء من فورهم والجيش معه فكبسوا أولئك فقتلوهم قتلاً عظيمًا وقل من هرب منهم ، واستولى على جميع أموالهم وحواصلهم وأثقالهم، فكانت غنيمة عظيمة جسيمة، وكان الحُطَم ابن ضُبيعَة أخو بنى قيس بن ثعلبة من سادات القوم نائمًا فقام دَهِشًا حين اقتحم المسلمون عليهم، فركب جواده فانقطع ركابه فجعل يقول: من يصلح لى ركابى؟ فجاء رجل من المسلمين فى الليل فقال: أنا أصلحها لك ارفع رجلك فلما رفعها ضربه بالسيف فقطعها مع قدمه، فقال: أجهز علىَّ فقال: لا أفعل، فوقع صريعاً وكلما مر به أحد يسأله أن يقتله فيأبى، حتى مر به قيس بن عاصم فقال له: أنا الحُطم فاقتلنى فقتله، فلما وجد رجله مقطوعة ندم على قتله، و قال: واسوأتاه لو أعلم ما به لم أحركه، ثم ركب المسلمون فى آثار المنهزمين يقتلونهم بكل مرصد، وطريق، وذهب من فر منه أو أكثر إلى دارين[3]، ركبوا إليها السفن، ثم شرع العلاء الحضرمى فى قسمة الغنيمة ونَفَل الأنفال، ولما فرغ من ذلك قال للمسلمين: اذهبوا بنا إلى دارين لنغزو من بها من الأعداء، فأجابوا إلى ذلك سريعًا، فسار بهم حتى أتى ساحل البحر ليركبوا فى السفن، فرأى أن الشُّقة بعيدة لا يصلون إليهم فى السفن حتى يذهب أعداء الله، فاقتحم البحر بفرسه وهو يقول: يا أرحم الراحمين يا حكيم يا كريم يا أحد يا صمد يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام لا إله إلا أنت يا ربنا[4]. وأمر الجيش أن يقولوا ذلك ويقتحموا، ففعلوا ذلك فأجاز بهم الخليج بإذن الله على مثل رملة دمثة فوقها ماء لا يغمر أخفاف الإبل، ولا يصل إلى رُكب الخيل، ومسيرته لسفن يوم وليلة فقطعه إلى الجانب الآخر فعاد إلى

---

(١) العَلَلُ: الشربة الثانية، والنهل: شرب الإبل أول ما ترد الماء.

(٢) البداية والنهاية (٦/٣٣٣).

(٣) دارين: بكسر الراء هى فرضة بالبحرين.

(٤) البداية والنهاية (٦/١٢١).

موضعه الأول وذلك كله فى يوم، ولم يترك من العدو مخبراً وساق الذرارى والأنعام والأموال، ولم يفقد المسلمون فى البحر شيئًا إلاَّ عُليقة فرس لرجل من المسلمين، ومع هذا رجع العلاء فجاءه بها، ثم قسم غنائم المسلمين فيهم فأصاب الفارس ستة آلاف والرجل ألفين مع كثرة الجيشين، وكتب إلى الصديق فأعلمه بذلك، فبعث الصديق يشكره على ما صنع، وقد قال رجل من المسلمين فى مرورهم فى البحر وهو عفيف بن المنذر:

ألم تر أن الله ذَلَّلَ بحره ... وأنزل بالكفار إحدى الجلائل[1]

دعونا الى شقِّ البحار فجاءنا ... بأعجب من فلق البحار الأوائل[2]

وكان مع المسلمين فى هذه المواقف والمشاهد التى رأوها من أمر العلاء وما أجرى الله على يديه من الكرامات، رجل من أهل هجر راهب فأسلم حينئذ، فقيل له: ما دعاك إلى الإسلام؟ فقال: خشيت إن لم أفعل أن يمسخنى الله لما شاهدت من الآيات. قال: وقد سمعت فى الهواء وقت السَّحَرِ دعاء. قالوا: وما هو؟ قال: اللهم أنت الرحمن الرحيم لا إله غيرك والبديع ليس قبلك شىء والدائم غير الغافل والذى لا يموت وخالق ما يرى وما لا يرى وكل يوم أنت فى شأن، وعلمت اللهم كل شىء علمًا، قال: فعلمت أن القوم لم يعانوا بالملائكة إلا وهم على أمر الله، فحسن إسلامه وكان الصحابة يسمعون منه[3].

وبعد هزيمة المرتدين رجع العلاء بن الحضرمى إلى البحرين وضرب الإسلام بجرانه، وعزَّ الإسلام وأهله وذل الشرك وأهله[4]، ولولا تدخل بعض العناصر الأجنبية لصالح المرتدين ما تجرأ المرتدون على الموقف فى وجه المسلمين مدة طويلة، إذ أن الفرس قد أمدُّوا المرتدين بتسعة آلاف من المقاتلين، وكان عدد المرتدين من العرب ثلاثة آلاف وعدد المسلمين أربعة آلاف[5] وكان للمثنى بن حارثة دور كبير فى إخماد فتنة البحرين والوقوف بقواته بجانب العلاء بن الحضرمى، وقد سار بجنوده من البحرين شمالاً ووضع يده على القطيف وهجر حتى بلغ مصب دجلة وقضى فى سيره هذا على قوات الفرس

---

(١) الجلائل: العظائم.

(٢، ٣) البداية والنهاية (٦/ ٣٣٤).

(٤) التاريخ الإسلامى (٩/ ١٠٥).

(٥) فتوح ابن أعثم، ص ٤٧.

وعمالهم ممن أعانوا المرتدين بالبحرين، وأنه انضم إلى العلاء بن الحضرمى فى مقاتلة المرتدين على رأس من بقى على الإسلام من أهل هذه النواحى، ومنه تابع مسيره مع الساحل شمالاً حتى نزل فى قبائل العرب الذين يقيمون بدلتا النهرين ، فتحدث إليهم وتعاهد معهم ، وعندما سأل الخليفة الصديق عن المثنى قال له قيس بن عاصم المنقرى: هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد هذا المثنى بن حارثة الشيبانى(١).

وقد أصدر الصديق رضى الله عنه أمره إلى المثنى بن حارثة أن يتابع دعوته للعرب فى العراق إلى الحق، وقد اعتبر أن ما قام به المثنى من قبل ما هو إلا الخطوة الأولى فى تحرير العراق، وأما الخطوة الحاسمة فهى توجيه خالد بن الوليد ليتولى قيادة الجيوش الإسلامية هناك(٢).

لقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يغتنم الفرص ويستنفد الطاقات ويستحث الهمم ليصل من الأعمال المقدَّمة إلى أعلى النتائج ، وكان يسخر الطاقات الكامنة فى الرجال ويوجهها لسحق الطغيان الذى عشش فى رؤوس زعماء الكفر والطغيان(٣).

* * *

(١) فتوح البلدان للبلاذرى، ص ٢٤٢ نقلاً عن أبو بكر الصديق، خالد جاسم، ص ٤٤.

(٢) أبو بكر الصديق، ص ٤٤، خالد الجنابى، نزار الحديثى.

(٣) التاريخ الإسلامى (٩/ ٩٨).

المبحث الرابع

مسيلمة الكذاب وبنو حنيفة

أولاً: التعريف به ومقدمة عنه:

هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفى أبو شامة، متنبئ من المعمرين وفى الأمثال: أكذب من مسيلمة، ولد ونشأ باليمامة فى القرية المسماة اليوم بالجبلية بقرب العيينة بوادى حنيفة فى نجد، وتلقب فى الجاهلية بالرحمن وعرف برحمان اليمامة[١]، وأخذ يطوف فى ديار العرب والعجم يتعلم الأساليب التى يستطيع بها استغفال الناس واستجرارهم لجانبه، كجبل السدنة والحوَّاء وأصحاب الزجر والخط ومذاهب الكهان والعيَّاف والسحرة وأصحاب الجن الذين يزعمون أن لهم تابعات إلى غيرها من الخزعبلات، ومن هذه الشعوذات أنه كان يصل جناح الطائر المقصوص فى الظاهر ويدخل البيضة فى القارورة[٢]، وكان مسيلمة يدعى النبوة ورسول الله بمكة، وكان يبعث بأناس إليها ليسمعوا القرآن ويقرؤوه على مسامعه، فينسج على منواله أو يسمعه هو نفسه للناس زاعماً أنه كلامه[٣]، وفى العام التاسع للهجرة الذى عم فيه الإسلام ربوع الجزيرة العربية أقبل وفد بنى حنيفة على مدينة الرسول ﷺ يعلنون إسلامهم، وكان مسيلمة معهم فقد ذكر ابن إسحاق: إن مسيلمة كان ضمن المجموعة التى قابلت الرسول ﷺ، من وفد بنى حنيفة جاءوا به يسترونه بالثياب، فلما قابله كلمه، وكان مع رسول الله ﷺ عسيب من سعف النخل فقال له رسول الله ﷺ: «**لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه**»[٤] ويبدو أنه سأله الشركة فى النبوة أو الخلافة من بعده. وفى رواية: إن مسيلمة لم يكن فى الوفد الذى قابل رسول الله ﷺ لأنه تخلف يحرس رحال القوم، فلما قسم ﷺ الأعطيات أخرج له نصيباً مثل أنصبائهم، وقال لهم: «**إنه ليس بشرِّكم مكانًا**» وذلك لقيامه على حراسة متاعهم[٥].

---

(١) حروب الردة وبناء الدولة، أحمد سعيد، ص ١٢٣؛ الزركلى (٢/١٢٥).

(٢) حركة الردة للعتوم، ص ٧١.

(٣) البدء والتاريخ (٥/١٦٠) للمقدسى نقلاً عن حركة الردة، ص ٧١.

(٤) السيرة النبوية (٢/٥٧٦، ٥٧٧).

(٥) نفس المصدر السابق (٢/٥٧٧).

وفى الرواية الأولى يبدو مسيلمة الكذاب شخصًا مريبًا مما استدعى ستره بهذه الثياب، وكأنه يخفى فى نفسه وتقاطيع وجهه شيئًا مدخولاً. وقد كان الرجل كذلك فى حياته وفى قوله ﷺ: «**ليس بشركم**». لاتعنى أنه خيرهم بل قد تعنى أنهم أشرار وليس هو بأكثر شراً منهم بل هو شرير مثلهم، والحقيقة التى كشفتها الأيام أن بنى حنيفة كان جلهم أشراراً، وكان هو الذى يتولى كبر هذا الشر فيهم.

١ - رجوع وفد بنى حنيفة:

ولما رجع وفد بنى حنيفة إلى اليمامة حيث ديارهم ادعى مسيلمة النبوة، وأعلن شركته لرسول الله ﷺ فيها اعتماداً على قوله ﷺ: «**إنه ليس بشركم**». وطفق يتنبأ لقومه ويسجع ويحلل ويحرم كما يشتهى، فكان مما زعم أنه قرآن يأتيه: لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى[١]، فمنهم من يموت ويدس إلى الثرى، ومنهم من يبقى إلى أجل مسمى، والله يعلم السر وأخفى[٢].

ومما قاله مسيلمة: يا ضفدع بنت ضفدعين، نقى ماتنقين، أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين[٣]، وقد حاول مسيلمة الكذاب أن يسرق أساليب القرآن مع إحالة معانيه بحيث تخرج شوهاء ممسوخة مثل قوله: فسبحان الله إذا جاء الحياة كيف تحيون؟ وإلى ملك السماء ترقون، فلو أنها حبة خردلة لقام عليها شهيد يعلم ما فى الصدور، ولأكثر الناس فيها ثبور[٤]. لقد كان هذا الهراء غير خاف على أحد بمن فيهم هم أنفسهم قبل غيرهم، وقد ذكر ابن كثير أن عمرو بن العاص - قبل إسلامه - قابل مسيلمة الكذاب فسأله هذا ماذا أنزل على محمد من القرآن؟ فقال له عمرو: إن الله أنزل عليه سورة العصر، فقال مسيلمة: وقد أنزل الله علىَّ مثلها وهو قوله: يا وبر يا وبر إنما أنت أذنان وصدر، وسائر حفر نقر[٥]، فقال له عمرو بن العاص: والله إنك تعلم أنى أعلم أنك تكذب[٦]، وعلق ابن كثير رحمه الله على قول عمرو هذا

---

(١) حركة الردة للعتوم، ص ٧٣ للعتوم.

(٢) البدء والتاريخ للمقدسى (٥/١٦٢).

(٣) تاريخ الطبرى (٤/١٠٢).

(٤) حركة الردة للعتوم، ص ٢٧١ للعتوم.

(٥، ٦) تفسير ابن كثير (٤/٥٤٧) ط/ الحلبى.

من قرآن مسيلمة المزعوم: فأراد مسيلمة أن يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن فلم يرج ذلك على عابد الأوثان فى ذلك الزمان[١].

وقال أبو بكر الباقلانى – رحمه الله –: فأما كلام مسيلمة الكذاب وما زعم أنه قرآن فهو أخسُّ من أن ننشغل به وأسخف من أن نفكر فيه، وإنما نقلنا منه طرفًا ليتعجب القارىء وليتبصر الناظر، فإنه على سخافته قد أضل، وعلى ركاكته قد أزل وميدان الجهل واسع[٢].

٢ – كتاب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ والجواب عنه:

وفى العام العاشر للهجرة عندما أصيب رسول الله ﷺ بمرض موته، تجرأ الخبيث فكتب رسالة إلى رسول الله ﷺ يزعم لنفسه فيها الشركة معه فى النبوة كتبها له عمرو ابن الجارود الحنفى، وبعثها إليه مع عبادة بن الحارث الحنفى المعروف بابن النواحة هذا نصها: من مسيلمة رسول الله (كذب) إلى محمد رسول الله: أما بعد فإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشًا لا ينصفون[٣]. فرد عليه رسول الله ﷺ برسالة كتبها له أبى بن كعب رضى الله عنه نصها: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبى إلى مسيلمة الكذاب أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين والسلام على من اتبع الهدى**»[٤]. وكان مسيلمة قد بعث برسالته إلى الرسول ﷺ مع رجلين أحدهما ابن النواحة المذكور فلما اطلع عليها رسول الله ﷺ قال لهما: وماذا تقولان أنتما؟ فقالا: نقول كما قال. فقال ﷺ: أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم[٥].

٣ – موقف حبيب بن زيد الأنصارى حامل رسالة رسول الله إلى مسيلمة:

حمل حبيب بن زيد الأنصارى ابن أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية رضى الله عنها رسالة رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذاب فعندما سلمه الرسالة قال له مسيلمة الكذاب: أتشهد أن محمداً رسول الله فيقول: نعم، فيقول له: أو تشهد أنى رسول الله؟

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٤٧).

(٢) إعجاز القرآن، تحقيق سيد صقر، ص ١٥٦.

(٣) تاريخ الطبرى (٣/٣٨٦).

(٤) نفس المصدر السابق (٣/٣٨٧).

(٥) نفس المصدر السابق (٣/٣٨٦).

فيقول: أنا أصم لا أسمع، ففعل ذلك مراراً وكان فى كل مرة لا يجيبه فيها حبيب إلى طلبه يقتطع من جسمه عضواً ويبقى حبيب محتسباً صابراً إلى أن قطعه إرباً إرباً فاستشهد رضى الله عنه بين يديه[1]، ولننظر إلى رسول الله ﷺ كيف كانت سيرته، فلا يقتل الرسل ولو كانوا من قبل أعدائه الألداء الكفار، وحتى ولو كفروا أمامه وما دام لهم هذه الحصانة. أما مسيلمة فيتعامى عن العهود والمواثيق فيقتل السفراء لا قتلاً عادياً بل قتل تشويه وتمثيل وتَشَفٍّ. إنه الفارق بين الإسلام الذى يحترم الكلمة ويحترم الإنسان ويخاصم بشرف ورجولة، وبين الجاهلية التى لا تعرف إلا الفساد فى الأرض وتحكيم الهوى[2].

٤ - الرَّجال بن عُنفوة الحنفى:

استفحل أمر مسيلمة الكذاب فى بنى حنيفة ويبدو أنهم كانوا على استعداد للتجاوب مع زيفه وخداعه، وافتتن به الرجَّال بن عُنفُوة الذى هاجر إلى النبى ﷺ وأسلم وقرأ القرآن وحفظ بعض سوره، كان قد بعثه رسول الله ﷺ إلى مسيلمة ليخذل عنه الأتباع، وليوضح جلية الأمر للناس فى هذه الفتنة الغاشية، فما كان منه عندما وصل إليه إلا أن انقلب على وجهه وأخذ يشهد لمسيلمة أمام الناس أن رسول الله أشركه معه فى النبوة فكان هذا الشقى أشدَّ فتنة على الناس من مسيلمة نفسه[3].

وقد ألمح رسول الله ﷺ فى حياته إلى سوء منقلب الرَّجال، فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه قال: جلست مع النبى ﷺ فى رهط معنا الرجال بن عُنْفُوَة فقال: «**إن فيكم لرجلاً ضرسه فى النار أعظم من أحد**». فهلك القوم وبقيت أنا والرجال فكنت متخوفًا لها، حتى خرج الرجال مع مسيلمة، فشهد له بالنبوة، فكانت فتنة الرجال أعظم من فتنة مسيلمة[4].

ثانيًا: الثابتون على الإسلام من بنى حنيفة:

طغت أخبار ردة مسيلمة الكذاب باليمامة على غيرها من أخبار ثبات جماعات من

---

(١) أسد الغابة رقم الترجمة ١٠٤٩.

(٢) حركة الردة للعتوم، ص ٧٤.

(٣) نفس المصدر السابق، ص ٧٥.

(٤) تاريخ الطبرى (٤/١٠٦).

المسلمين الصادقين باليمامة بصفة عامة، وفى بنى حنيفة – قوم مسيلمة بصفة خاصة – ولم يتعرض كثير من الكتَّاب المحدثين لذكر المسلمين الذين تمسكوا بإسلامهم فى فتنة مسيلمة ووقفوا فى وجهه، وساندوا جيوش الخلافة للقضاء على فتنته، وقد وجدت[1] روايات معتبرة تلقى الضوء على هذه الحقيقة التى غابت عن الكثيرين[2].

يذكر ابن أعثم أن ممن ثبت على الإسلام فى اليمامة ثمامة بن أُثال[3]، الذى كان من مشاهير بنى حنيفة ولذا اجتمعت إليه عندما علموا بمسير خالد إليهم لأنه كان واحداً من أكابرهم، وكان ذا عقل وفهم ورأى، وكان مخالفًا لمسيلمة على ما هو عليه من الردة، وكان مما قاله لمن تابع مسيلمة: ... ويحكم يا بنى حنيفة اسمعوا قولى تهتدوا وأطيعوا أمرى ترشدوا واعلموا أن محمداً ﷺ كان نبيًا مرسلاً لا شك فى نبوته ومسيلمة رجل كذَّاب لا تغتروا بكلامه وكذبه فإنكم قد سمعتم القرآن الذى أتى به محمد ﷺ وآلى عن ربه إذ يقول: ﴿ **حمٓ (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ [غافر: ١ – ٣] فأين هذا الكلام من كلام مسيلمة الكذاب؟ فانظروا فى أموركم ولا يذهبن هذا عنكم، ألا وإنى خارج إلى خالد بن الوليد فى ليلتى هذه طالبًا منه الأمان على نفسى ومالى وأهلى وولدى.. وكان جواب من هُدى إليه من قومه: (نحن معك يا أبا عامر فكن من ذلك على علم). ثم خرج ثمامة بن أثال فى جوف الليل فى نفر من بنى حنيفة حتى لحق بخالد بن الوليد، واستأمن إليه فأمنه وأمن أصحابه[4]، وجاء فى رواية الكلاعى قوله لهم: بأن لا نبى مع محمد ﷺ ولا بعده وتذكر طرفًا من قرآن مسيلمة للتدليل على سخفه[5]، وتروى شعراً ينسب إلى ثمامة منه قوله:

مسيلمة ارجع ولا تمحك ... فإنك فى الأمر لم تشرك

كذبت على الله فى وحيه ... فكان هواك هوى الأنوك[6]

---

(١) وجدتها فى «كتاب الثابتون على الإسلام» للدكتور مهدى رزق الله.

(٢) الثابتون على الإسلام، ص ٥١.

(٣) وقع فى الأسر فى زمن النبى لما كان مشركًا فعفا عنه رسول الله وحسن إسلامه.

(٤) الثابتون على الإسلام، ص ٥٢.

(٥، ٦) الكلاعى فى حروب الردة، ص ١١٧.

ومنَّاك قـــومُك أن يمنعـــوك وإن يـأتِهِمْ خـــالد تُتـــركِ

فـمـا لك من مـصـعـد فى السـمـاء ولا لك فى الأرض من مـــسلك[1]

وقد جاء فى رواية: دور ثمامة فى حرب مسيلمة ومساعدة عكرمة بن أبى جهل له فى هذه المهمة[2].

وقد ساهم ثمامة بن أثال فى مساعدة العلاء بن الحضرمى فى حربه للمرتدين بالبحرين، وكان معه مسلمو بنى حنيفة من بنى سُحيم ومن أهل القرى من سائر بنى حنيفة، وكان ثمامة من أهل البلاء فى قتال المرتدين مع العلاء الحضرمى[3].

وممن ثبت على الإسلام فى اليمامة معمر بن كلاب الرُّمانى فقد وعظ مسيلمة وبنى حينفة الذين تابعوه ونهاهم عن الردة، وكان جاراً لثمامة بن أثال وشهد قتال اليمامة مع خالد بن الوليد، ومن سادات اليمامة الذين كانوا يكتمون إسلامهم: ابن عمرو اليشكرى الذى كان من أصدقاء الرَّجَّال بن عنفوة، وقال شعراً فشا فى اليمامة وأنشده الناس، ومن هذا الشعر قوله:

إن دينى دين النبى وفى القـــو م رجـال على الهـدى أمـثـالى

أهلك القـوم مُـحكم بن طُفـيل ورجـال ليـسـوا لنا برجـال

إن تكن مـيـتـتى على فطرة الله حنيـفـًا فـإننى لا أبالى

فبلغ ذلك مسيلمة ومحكما وأشراف أهل اليمامة فطلبوه، ولكنه فاتهم ولحق بخالد ابن الوليد وأخبره بحال أهل اليمامة ودله على عوراتهم[4].

وممن ثبت على الإسلام فى اليمامة أيضًا: عامر بن مَسْلَمَة ورهطه[5].

ولقد أكرم أبو بكر الثابتين على الإسلام من بنى حنيفة وذلك فى أشخاص ذوى قرابتهم ومن ذلك تعيينه لمطرف بن النعمان بن مسلمة ابن أخى كل من ثمامة بن أثال

---

(١) الثابتون على الإسلام، ص ٥٣.

(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٦١).

(٣) الثابتون على الإسلام، ص ٥٤.

(٤) حروب الردة، ص (١٠٤ - ١٠٦) للكلاعى.

(٥) الثابتون على الإسلام، ص ٥٧.

وعامر بن مسلمة اللذين كان لهما ثباتٌ فى فتنة الردة – عينه والياً على اليمامة[١].

ثالثًا: تحرك خالد بن الوليد بجيشه إلى مسيلمة الكذاب باليمامة:

كان أبو بكر رضى الله عنه قد أمر خالداً إذا فرغ من أسد وغطفان ومالك بن نويرة أن يقصد اليمامة وأكد عليه فى ذلك، قال شريك الفزارى[٢]، كنت ممن حضر بزاخة فجئت أبا بكر فأمرنى بالمسير إلى خالد وكتب معى إليه: أما بعد فقد جاءنى فى كتابك مع رسولك تذكر ما أظفرك الله بأهل بزاخة وما فعلت بأسد وغطفان وأنك سائر إلى اليمامة، وذلك عهدى إليك فاتق الله وحده لا شريك له وعليك بالرفق بمن معك من المسلمين، كن لهم كالوالد وإياك يا خالد بن الوليد ونخوة بنى المغيرة فإنى قد عصيت فيك من لم أعصه فى شىء قط فانظر إلى بنى حنيفة إذا لقيتهم إن شاء الله فإنك لم تلقَ قومًا يشبهون بنى حنيفة كلهم عليك ولهم بلاد واسعة، فإذا قدمت فباشر الأمر بنفسك واجعل على ميمنتك رجلاً وعلى ميسرتك رجلاً[٣]، واجعل على خيلك رجلاً واستشر من معك من الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار واعرف لهم فضلهم، فإذا لقيت القوم وهم على صفوفهم فالقهم إن شاء الله وقد أعددت للأمور أقرانها، فالسهم للسهم والرمح للرمح والسيف للسيف واحمل أسيرهم على السيف[٤]، وهوِّل فيهم القتل وأحرقهم بالنار وإياك أن تخالف أمرى والسَّلام عليك[٥]. فلما انتهى الكتاب إلى خالد وقرأه قال: سمعًا وطاعة[٦].

سار خالد إلى قتال بنى حنيفة باليمامة وعبَّى معه المسلمين، وكان على الأنصار ثابت ابن قيس بن شماس فسار لا يمر بأحد من المرتدين إلا نكَّل به، وسيَّر الصديق جيشًا كثيفًا مجهزًا بأحدث سلاح ليحمى ظهر خالد حتى لا يوقع به أحد من خلفه وكان خالد فى طريقه إلى اليمامة قد لقى أحياء من الأعراب قد ارتدت، فغزاها وردها إلى

---

(١) الثابتون على الإسلام، ص ٥٨.

(٢) شريك بن عبدة: صحابى قام بالمراسلة الحربية بين الصديق وخالد.

(٣، ٤) حروب الردة، شوقى أبو خليل، ص ٧٨.

(٥) مجموعة الوثائق السياسية، ص (٣٤٨، ٣٤٩)؛ حروب الردة، أبو خليل، ص ٧٩.

(٦) حروب الردة، د. شوقى أبو خليل، ص ٧٩.

الإسلام، ولقى مؤخرة جيش سجاح ففتك به ونكبه، ثم زحف إلى اليمامة[١].

ولما سمع مسيلمة بقدوم خالد عسكر بمكان يقال له: عقرباء[٢] فى طرف اليمامة، وندب الناس وحثَّهم على لقاء خالد، فأتاه أهل اليمامة وجعل على مجنبتى جيشه: المحكم بن الطفيل والرَّجَّال بن عنفوة (شاهد زور).

والتقى خالد بعكرمة وشرحبيل فتقدم وقد جعل على مقدمة الجيش شرحبيل بن حسنة وعلى المجنبتين زيد بن الخطاب وأبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة[٣].

أ - مجاعة بن مرارة الحنفى يقع فى أسر المسلمين:

مرَّت مقدمة جيش خالد بنحو من أربعين -- وقيل ستين - فارسًا عليهم مجاعة بن مرارة الحنفى، وكان قد ذهب لأخذ ثأر له فى بنى تميم وبنى عامر، وفى طريق عودته إلى قومه أسرهم المسلمون، فلما جيء بهم إلى خالد قال لهم: ماذا تقولون يا بنى حنيفة؟ قالوا: نقول منا نبى ومنكم نبى فقتلهم[٤]، وفى رواية: سألهم خالد: متى شعرتم بنا؟ قالوا: ما شعرنا بك! إنما خرجنا لنثأر فيمن حولنا من بنى عامر وتميم. فلم يصدقهم خالد بل حسبهم جواسيس عليه لمسيلمة الكذاب، فأمر بقتلهم جميعًا فقالوا له: إن ترد بأهل اليمامة غدًا شرًا أو خيرًا فاستبق هذا وأشاروا إلى رئيسهم مجَّاعة، فاستبقى مجاعة وقتل الآخرين[٥].

وكان مجاعة بن مرارة سيدًا فى بنى حنيفة شريفًا مطاعًا، فكان خالد كلما نزل منزلاً واستقر به دعا مُجاعة فأكل معه وحدثه، فقال له ذات يوم: أخبرنى عن صاحبك - يعنى مسيلمة - ما الذى يقرأكم؟ هل تحفظ منه شيئًا؟ قال: نعم، فذكر له شيئًا من رجزه، فقام خالد وضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال: يا معشر المسلمين اسمعوا إلى عدو الله كيف يعارض القرآن، ثم قال: ويحك يا مجاعة أراك رجلاً سيدًا عاقلاً اسمع إلى كتاب الله عز وجل، ثم انظر كيف عارضه عدو الله فقرأ عليه خالد: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ

---

(١) الصديق أول الخلفاء، ص ١٠٥.

(٢، ٣) حروب الردة، د. شوقى أبو خليل، ص ٨٠.

(٤) البداية والنهاية (٦/٣٢٨).

(٥) تاريخ الطبرى (٤/١٠٦)؛ الصديق أول الخلفاء، ص ١٠٥.

الأَعْلَى﴾ فقال مجاعة: أما إن رجلاً من أهل البحرين كان يكتب، أدناه مسيلمة وقرَّبه حتى لم يكن يُعدُّ له فى القُرب عنده أحد، فكان يخرج إلينا فيقول: ويحكم يا أهل اليمامة صاحبكم والله كذّاب وما أظنكم تتهمونى عليه، إنكم لترون منزلتى عنده وحالى، هو والله يكذبكم وبايعكم على الباطل، قال خالد: فما فعل ذلك البحرانى؟ قال: هرب منه كان لا يزال يقول هذا القول حتى بلغه، فخافه على نفسه فهرب فلحق بالبحرين، قال خالد: هات زدنا من كذب الخبيث فقال مجاعة بعض رجز مسيلمة، فقال خالد: وهذا كان عندكم حقًا وكنتم تصدقونه؟ قال مجاعة: لو لم يكن عندنا حقًا لما لقيتك غداً أكثر من عشرة آلاف سيف يضاربونك فيه حتى يموت الأعجل، قال خالد: إذًا يكفيناكم الله ويعز دينه، ففى سبيله يقاتلون ودينه يريدون[1]، فهذا رد يدل على عظمة إيمان خالد وثقته بالله، فقد كان إيمانه بالله وثقته المطلقة فى نصر الله لدينه هما اللذين فجرا فى شخصيته كنوز المواهب الحربية وفنون المهارات القيادية، لقد قاتل يوم بزاخة بسيفين حتى قطعهما، فقد كان يملأ الإيمان قلبه ويعتز بالله وحده، وكان ذلك كفيلاً بإسقاط هيبة عدوه من نفسه وغرس هيبته فى قلب عدوه وذلك أول الطريق لإحراز النصر الحاسم عليه وإلحاق الهزيمة الساحقة به[2].

ب - شن الحرب النفسية قبل المعركة:

وضع خالد بن الوليد خطته على أساس استخدام الحرب النفسية ثم تحكيم السيف، فبعث زياد بن لبيد وكان صديقًا لمحكم بن طفيل سيد أهل اليمامة بقصد أن يكسبه إلى جانبه، فقال خالد لزياد: لو لقيت إلى محكم شيئًا تكسره به فكتب زياد إليه أبياتًا من الشعر جاء فيها:

ويل اليمامة ويلاً لا فراق له ... إن جالت الخيل فيها بالقنا الصادى

والله لا تنثنى عنكم أعنتها ... حتى تكونوا كأهل الحجر أو عاد

واتجه خالد كذلك إلى عمير بن صالح اليشكرى وكان قد أسلم وكتم إسلامه على قومه، وكان قوى العقيدة راسخ الإيمان، وقال له: تقدم إلى قومك، فأتاهم وقال: أظلكم خالد فى المهاجرين والأنصار، إنى رأيت قومًا إن غالبتموهم بالصبر غلبوكم بالنصر وإن

---

(١) حروب الردة، ص ٨٢.

(٢) حركة الردة للعتوم، ص (٢١٨، ٢١٩).

غلبتموهم بالعدد غلبوكم بالمدد، ولستم والقوم سواء الإسلام مقبل والشرك مدبر، وصاحبهم نبى وصاحبكم كذاب، ومعهم السرور ومعكم الغرور فالآن والسيف فى غمده والنبل فى جفيره، قبل أن يسل السيف ويرمى بالسهم[1].

ثم باشر خالد المهمة مع ثمامة بن أثال الحنفى، فمشى إلى قومه يدعوهم إلى الاستسلام، ويحطم عندهم روح القتال: (إنه لا يجتمع نبيان بأمر واحد، إن محمداً ﷺ لا نبى بعده ولا نبى مرسل معه، لقد بعث إليكم (يقصد أبا بكر) رجلاً لا يسمى باسمه ولا باسم أبيه يقال له: (سيف الله) معه سيوف كثيرة، فانظروا فى أمركم[2]. واهتم خالد بتدبير الخطط المحكمة وكان رضى الله عنه لا يستخف بعدوه وكان فى ميدان المعركة على أهبة وحذر دائمين مخافة أن يفجأه عدوه بغارة غادرة والتفاف مكر، وقد وُصِفَ رضى الله عنه بأنه: كان لا ينام ولا يبيت إلا على تعبية، ولا يخفى عليه من أمر عدوه شيء[3]، وفى محاربته لمسيلمة - قبل معركة عقرباء - جعل طليعته مكنف ابن زيد الخيل وأخاه حريثًا لجمع المعلومات اللازمة للمعركة، وقد حان ترتيب أمور جيشه فالموقف شديد الخطورة، ولا بد من أخذ الترتيبات اللازمة فقد كان حامل الراية فى هذه المعركة عبد الله بن حفص بن غانم ومن ثم تحولت إلى سالم[4] مولى أبى حذيفة، ومعلوم أن الناس برياتهم - كما قالت العرب - فإذا زالت زالوا، وقد قدم خالد فى هذه المعركة شرحبيل بن حسنة، وقسم الجيش أخماساً على المقدمة خالد المخزومى وعلى الميمنة أبو حذيفة وعلى الميسرة شجاع وفى القلب زيد بن الخطاب وجعل أسامة ابن زيد على الخيالة ووضع الظعن فى المؤخرة وفيها الخيام والنساء[5]، وهذا الترتيب الأخير قبل المعركة.

رابعًا: المعركة الفاصلة:

ولما توجه الجيشان قال مسيلمة لأتباعه وقومه قبيل المعركة الفاصلة: اليوم يوم الغيرة اليوم إن هزمتم تستنكح النساء سبيًّات وينكحن غير حظيات، فقاتلوا على أحسابكم

---

(١) الحرب النفسية، أحمد نوفل، ص (١٤٤، ١٤٥).

(٢) الحرب النفسية، د. أحمد نوفل (٢/ ١٤٥)؛ فن إدارة المعركة، محمد فرج، ص(١٣٨- ١٤٠).

(٣) حركة الردة للعتوم، ص ١٩٩.

(٤، ٥) نفس المصدر السابق، ص ٢٠٠.

وامنعوا نساءكم[1].

وتقدم خالد رضى الله عنه بالمسلمين حتى نزل بهم على كثيب يشرف على اليمامة فضرب به عسكره، واصطدم المسلمون والكفار فكانت جولة وانهزمت الأعراب حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد، وهموا بقتل أم تميم حتى أجارها مجاعة وقال: نعمت الحرة هذه وقد قُتل الرَّجَّال بن عنفوة لعنه الله فى هذه الجولة قتله زيد بن الخطاب، ثم تذامر الصحابة بينهم وقال ثابت بن قيس بن شماس: لبئس ما عودتم أقرانكم ونادوا من كل جانب: أخلصنا يا خالد فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار وحَمىَ وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله، وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميه فى الأرض إلى أنصاف ساقيه وهو حامل لواء الأنصار بعدما تحنط وتكفن فلم يزل ثابتًا حتى قتل هناك، وقال المهاجرون لسالم مولى أبى حذيفة: أتخشى أن نؤتى من قبلك؟ فقال: بئس حامل القرآن أنا إذًا، وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا فى عدوكم وامضوا قدمًا وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتى فقتل شهيداً رضى الله عنه، وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زيِّنوا القرآن بالفعال، وحمل فيهم حتى أبعدهم، وأصيب رضى الله عنه، وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم وسار لقتال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله، ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعا البراز، وقال: أنا ابن الوليد العود أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين - وكان شعارهم يومئذ: يا محمداه - وجعل لا يبرز له أحد إلا قتله ولا يدنو منه شيء إلا أكله، وقد ميز خالد المهاجرين من الأنصار من الأعراب، وكل بنى أب على رايتهم يقاتلون تحتها حتى يعرف الناس من أين يؤتون، وصبر الصحابة فى هذا الموطن صبراً لم يعهد مثله، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم وولَّى الكفار الأدبار واتبعوهم يقتلون فى أقفائهم ويضعون السيوف فى رقابهم حيث شاءوا، حتى ألجأوهم إلى حديقة الموت وقد أشار عليهم مُحكم اليمامة - وهو محَكم بن الطفيل لعنه الله - بدخولها فدخلوها وفيها عدو الله مسيلمة لعنه الله وأدرك عبد الرحمن بن أبى بكر محكم بن الطفيل فرماه بسهم فى عنقه وهو يخطب فقتله، وأغلقت بنو حنيفة الحديقة

---

(١) البداية والنهاية (٦/٣٢٨).

عليهم وأحاط بهم الصحابة[١].

خامسًا: بطولات نادرة:

١ - قال البراء بن مالك:

يا معشر المسلمين ألقونى عليهم فى الحديقة، فاحتملوه فوق الجحف[٢]، ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه ودخل المسلمون الحديقة من الباب الذى فتحه البراء، وفتح الذين دخلوا الأبواب الأخرى وحوصر المرتدون وأدركوا أنها القاضية، وأن الحق جاء وزهق باطلهم[٣].

٢ - مصرع مسيلمة الكذاب:

وخلص المسلمون إلى مسيلمة لعنه الله وإذا هو واقف فى ثلمة جدار كأنه جمل أورق، وهو يريد يتساند لا يعقل من الغيظ وكان إذا اعتراه شيطانه أزبد حتى يخرج الزبد من شدقيه، فتقدم إليه وحشى بن حرب مولى جبير بن مطعم - قاتل حمزة - فرماه بحربته فأصابه، وخرجت من الجانب الآخر وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة فضربه بالسيف فسقط، فنادت امرأة من القصر: وا أمير الوضاءة قتله العبد الأسود، فكان جملة من قتلوا فى الحديقة وفى المعركة قريبًا من عشرة آلاف مقاتل وقيل: إحدى وعشرون ألفًا وقتل من المسلمين ستمائة وقيل: خمسمائة فالله أعلم، وفيهم من سادات الصحابة وأعيان الناس من يذكر بعد، وخرج خالد وتبعه مجاعة بن مرارة يرسف فى قيوده، فجعل يريه القتلى ليعرفه بمسيلمة فلما مروا بالرجال بن عنفوة قال له خالد: أهذا هو؟ قال: لا والله هذا خير منه هذا الرَّجال بن عنفوة. ثم مروا برجل أصفر أخنس فقال: هذا صاحبكم فقال خالد: قبحكم الله على اتباعكم هذا ثم بعث خالد الخيول حول اليمامة يلتقطون ما حول حصونها من مال وسبى[٤].

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٢٩).

(٢) الجحف: المراد بها التروس.

(٣) حروب الردة، لشوقى أبو خليل، ص٩٢.

(٤) البداية والنهاية (٦/ ٣٣٠).

٣ - أبو عقيل: عبد الرحمن بن عبد الله البلوى الأنصارى الأوسى:

كان أبو عقيل من أول من جُرح يوم اليمامة رمى بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده فجرح فى غير مقتل فأخرج السهم ووهن شقُّه الأيسر فأخذ إلى معسكر المسلمين فلما حمى القتال وتراجع المسلمون إلى رحالهم ومعسكرهم وأبو عقيل واهن من جرحه سمع معن بن عدى يصيح: يا للأنصار الله الله والكرة على عدوكم وتقدم معن القوم ونهض أبو عقيل يريد قومه فقال له بعض المسلمين: يا أبا عقيل ما فيك قتال، قال: قد نوّه المنادى باسمى فقيل له: إنما يقول يا للأنصار لا يعنى الجرحى فقال أبو عقيل: فأنا من الأنصار وأنا أُجيب ولو حبواً فتحزَّم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى مجرداً ثم جعل ينادى: يا للأنصار كرَّة كيوم حُنين فاجتمعوا جميعًا وتقدموا بروح معنوية عالية يطلبون الشهادة أو النصر حتى أقحموا عدوَّهم الحديقة وفى هذا الهجوم قطعت يد أبى عقيل من المنكب ووجدت به أربعة عشر جُرحًا كلها قد خلصت إلى مقتل ومرَّ ابن عمر بأبى عقيل وهو صريع بآخر رمق فقال: يا أبا عقيل فقال: لبيك بلسان ثقيل ثم قال: لمن الدبرة فقال ابن عمر: أبشر قد قُتِل عدو الله فرفع أبو عقيل إصبعه إلى السماء بحمد الله، قال عنه عمر رضى الله عنه: رحمه الله مازال ينال الشهادة ويطلبها وإنه لمن خيار أصحاب نبينا[١].

٤ - نسيبة بنت كعب المازنية الأنصارية:

خرجت فى جيوش خالد الذاهبة لليمامة وباشرت القتال بنفسها وأقسمت أن لا تضع السلاح حتى يقتل دجال بنى حنيفة وبرت بفضل الله بقسمها وقتل مسيلمة ورجعت إلى المدينة وبها اثنا عشر جرحًا ما بين طعنة برمح وضربة بسيف، وكلها أوسمة شرف لهذه الصحابية المجاهدة التى ضربت لبنات جنسها مثلاً رائعًا فى الدفاع عن الدين والعقيدة، ولو أدى ذلك لأن تتحمل ما لا يتحمله فى العادة مثيلاتها من ربات الخدور[٢]، وقد قام خالد بن الوليد بعد هذه المعركة برعايتها. فقد قالت نسيبة رضى الله عنها: فلما انقطعت الحرب ورجعت إلى منزلى جاءنى خالد بن الوليد بطبيب فداوانى بالزيت المغلى، وكان والله أشد على من القطع، وكان خالد كثير التعهد لى،

---

(١) حروب الردة، ص (٩٣، ٩٤) شوقى أبو خليل نقلاً عن الاكتفاء (٢/١٣).

(٢) حركة الردة، للعتوم ص ٣٠٩.

حسن الصحبة لنا، يعرف لنا حقنا ويحفظ فينا وصية نبينا ﷺ[1].

سادسًا: من شهداء معركة اليمامة:

١ - ثابت بن قيس بن شماس الذى أجاز الصديق وصيته بعد موته:

هو أبو محمد خطيب الأنصار، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ بشره بالشهادة، وقتل يوم اليمامة شهيدًا، وكانت راية الأنصار يومئذ بيده، وقد رأى رجل من المسلمين ثابت ابن قيس فى منامه فقال: إنى لما قتلت بالأمس مر بى رجل من المسلمين فانتزع منى درعًا نفيسة، ومنزله فى أقصى العسكر وعند خبائه فرس يستَنُّ فى طوله، وقد كفأ على الدرع بُرْمَة وفوق البرمة رحل، فأت خالدًا فمره أن يبعث إلى درعى فيأخذها، وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله - يعنى أبا بكر - فقل له: إن علىَّ من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقى عتيق، وإياك أن تقول: هذا حلم فتضيعه، قال: فأتى خالدًا فوجهه إلى الدرع فوجدها كما ذكر، وقدم على أبى بكر فأخبره، فأنفذ أبو بكر وصيته بعد موته، فلا يعلم أحد جازت وصيته بعد موته إلا ثابت بن قيس بن شماس[2].

٢ - زيد بن الخطاب رضى الله عنه:

هو أخو عمر بن الخطاب لأبيه وكان أكبر من عمر، أسلم قديمًا وشهد بدرًا وما بعدها، وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين معن بن عدى الأنصارى وقد قتلا جميعًا باليمامة، وقد كانت راية المهاجرين يومئذ بيده فلم يزل يتقدم بها حتى قتل فسقطت، فأخذها سالم مولى أبى حذيفة وقد قَتل زيد يومئذ الرَّجال بن عنفوة الذى كانت فتنته على بنى حنيفة أشد من فتنة مسيلمة فكان مصرعه على يد زيد رضى الله عنه، والذى قتل زيدًا رجل يقال له أبو مريم الحنفى، وقد أسلم بعد ذلك وقال لعمر: يا أمير المؤمنين إن الله أكرم زيدًا بيدى ولم يهنى على يده، وقد قال عمر لما بلغه مقتل زيد بن الخطاب: رحم الله أخى زيد سبقنى إلى الحسنيين أسلم قبلى واستشهد قبلى، وقال لمتمم بن نويرة حين جعل يرثى أخاه مالكًا بالأشعار: لو كنت أحسن الشعر لقلت كما قلت، فقال له متمم: لو أن أخى ذهب على ما ذهب عليه أخوك ما حزنت عليه فقال له: ما عزانى

---

(١) الأنصار فى العصر الراشدى، ص ١٩٠.

(٢) البداية والنهاية (٦/٣٣٩).

أحد بمثل ما عزيتنى به، ومع هذا كان عمر يقول: ما هبت الصبا إلا ذكرتنى زيداً رضى الله عنه[1].

٣ - معن بن عدى البلوى:

شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد، وكان قد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن الخطاب فقتلا جميعًا يوم اليمامة رضى الله عنهما، وكان لمعن بن عدى موقف متميز عند وفاة رسول الله ﷺ، فعندما بكى الناس على رسول الله ﷺ حين مات، وقالوا: والله وددنا أنا متنا قبله ونخشى أن نفتتن بعده، فقال معن بن عدى: لكنى والله ما أحب أن أموت قبله، لأصدقه ميتًا كما صدقته حيًا[2].

٤ - عبد الله بن سهيل بن عمرو:

أسلم قديمًا وهاجر ثم استضعف بمكة، فلما كان يوم بدر خرج معهم، فلما تواجهوا فرَّ إلى المسلمين فشهدها معهم، وقتل يوم اليمامة، فلما حج أبو بكر عزى أباه فيه فقال سهيل: بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: «**يشفع الشهيد لسبعين من أهله**»[3]. فأرجو أن يبدأ بى[4]، وقد كان لسهيل بن عمرو رضى الله عنه موقف عظيم بمكة حين توفى رسول الله ﷺ فقد همَّ أكثر أهل مكة بالرجوع عن الإسلام، وأرادوا ذلك حتى خافهم والى مكة عتاب بن أسيد، فتوارى، فقام سهيل بن عمرو فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ وقال: إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة فمن رابنا ضربنا عنقه، فتراجع الناس وكفوا عما هموا به فظهر عتاب بن أسيد. فهذا المقام الذى أراد رسول الله ﷺ فى قوله لعمر بن الخطاب - يعنى حين أشار بقلع ثنيته حين وقع فى الأسارى يوم بدر -: «**إنه عسى أن يقوم مقامًا لا تذمَّنُهُ**»[5].

٥ - أبو دُجانة سِماك بن خرشة:

كانت عليه يوم بدر عصابة حمراء، قيل: آخى النبى ﷺ بينه وبين عتبة بن غزوان وثبت أبو دجانة يوم أحد مع النبى ﷺ وبايعه على الموت، وهو ممن اشترك فى قتل

---

(١) البداية والنهاية (٦ / ٢٤٠).

(٢) نفس المصدر السابق (٦ / ٣٤٣، ٣٤٤).

(٣) سنن أبى داود فى الجهاد، باب الشهيد يشفع، ٢٥٢٢.

(٤) تاريخ الذهبى، الخلفاء الراشدون، ص ٦١.

(٥) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، خلافة أبى بكر، ص ٨٢.

مسيلمة وقتل يومئذ، وقال زيد بن أسلم: دُخل على أبى دجانة وهو مريض - وكان وجهه يتهلل - فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما لى من عملى شيء أوثق عندى من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنينى، والأخرى فكان قلبى للمسلمين سليمًا[1]، وكان أبو دجانة يوم اليمامة من أبطال المسلمين، فقد رمى بنفسه إلى داخل الحديقة فانكسرت رِجله فقاتل وهو مكسور الرجل حتى قتل[2].

٦ - عبَّاد بن بشر:

من فضلاء الصحابة عاش خمسًا وأربعين سنة، وهو الذى أضاءت عصاه ليلة حين انقلب إلى منزله، وكان قد سُمر عند النبى ﷺ[3]، أسلم عبَّاد على يد مصعب بن عمير وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف[4]، واستعمله النبى ﷺ على صدقات مزينة وبنى سليم وعلى حرسه بتبوك، وأبلى يوم اليمامة بلاءً حسنًا وكان من الشجعان، وعن عائشة قالت: ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلاً كلهم من بنى عبد الأشهل: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعبَّاد بن بشر، وعن عائشة قالت: تهجَّد رسول الله ﷺ فى بيتى فسمع صوت عبَّاد يصلى فى المسجد فقال: «**يا عائشة هذا صوت عبَّاد؟**» قلت: نعم، قال: «**اللهم ارحم عبَّادًا**»[5]. وقد استشهد باليمامة، ويحدثنا أبو سعيد الخدرى عنه حيث قال: سمعته يقول حين فرغنا من بزاخة: يا أبا سعيد، رأيت الليلة كأن السماء فرجت لى ثم أطبقت علىَّ فهى إن شاء الله الشهادة. قلت: خيرًا والله رأيت[6]، وقد كان له يوم اليمامة مواقف مشهودة، فقد وقف على نشز مرتفع من الأرض ثم صاح بأعلى صوته: أنا عباد بن بشر يا للأنصار يا للأنصار ألا إلىَّ ألا إلىَّ، فأقبلوا إليه جميعًا وأجابوه: لبيك لبيك.. ثم حطم جفن سيفه فألقاه وحطمت الأنصار جفون سيوفهم ثم قال جملة صادقة: اتبعونى، فخرج حتى ساقوا بنى حنيفة منهزمين حتى انتهوا بهم إلى الحديقة فأغلق عليهم[7]، ولما تمكن المسلمون من

---

(١) عهد الخلفاء الراشدين للذهبى، ص ٧٠.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٧١.

(٣) البخارى، مناقب الأنصار رقم (٣٨٠٥).

(٤) البخارى فى المغازى رقم (٤٠٣٧).

(٥) البخارى معلقًا رقم (٢٦٥٥).

(٦) الطبقات لابن سعد (٢/ ٢٣٤).

(٧) غزوات ابن حبيش (١/ ١٢١).

اقتحام باب الحديقة، ألقى درعه على بابها، ثم دخل بالسيف صلتاً يجالدهم، حتى قتل شهيداً باليمامة وهو ابن خمس وأربعين سنة، ولم يعرف إلا بعلامة فى جسده لكثرة ما فيه من الجراح رضى الله عنه(١)، وقد اشتهرت مواقف عباد بن بشر فى اليمامة حتى أصبحت مضرب المثل(٢)، وبقيت بنو حنيفة تذكر عباد بن بشر، فإذا رأت الجراح بالرجل منهم تقول: هذا ضرب مجرب القوم عباد بن بشر(٣).

لقد كان للأنصار مواقف عظيمة و إقدام منقطع النظير فى حروب الردة وخصوصاً باليمامة، وقد شهد للأنصار بالإقدام والصبر فى ذلك اليوم مجَّاعة بن مرارة الحنفى عند الخليفة أبو بكر، فقال: يا خليفة رسول الله لم أر قوماً قط أصبر لوقع السيوف ولا أصدق كرة من الأنصار... فلقد رأيتنى وأنا أطوف مع خالد بن الوليد أعرفه قتلى بنى حنيفة وإنى لأنظر إلى الأنصار وهم صرعى، فبكى أبو بكر حتى بل لحيته(٤).

٧- الطفيل بن عمرو الدَّوسى الأزدىَّ:

استشهد باليمامة وكان شريفًا شاعرًا لبيبًا، وقد رأى الرؤيا قبل استشهاده حيث قال: خرجت ومعى ابنى عمرو فرأيت كأن رأسى حُلِقَ وخرج من فمى طائر وكأن امرأة أدخلتنى فرجها فأوَّلتها: حلق رأسى قطعه وأمَّا الطائر فروحى، وأما المرأة فالأرض أدفن فيها، فاستشهد يوم اليمامة(٥).

وقد استشهد كثير من المهاجرين والأنصار فى هذه المعركة الفاصلة.

وكانت المدينة على الرغم من فرحها بانتصار المسلمين على المرتدين ما زالت تبكى شهداءها، ففى حرب اليمامة وحدها قتل من المسلمين مائتان وألف، منهم عدد من كبار الصحابة وفيهم أكثر حفاظ القرآن: نحو أربعين من القراء، وعصرت الأحزان قلب المدينة، وغمرت الدموع ابتسامات الفرح بالنصر وضاقت الصدور وثقلت المحنة على

---

(١) الاكتفاء للكلاعى (٣/٥٣).

(٢) الأنصار فى العهد الراشدى، ص ١٨٦.

(٣) الاكتفاء للكلاعى (٣/٥٣)

(٤) نفس المصدر السابق (٣/٦٥).

(٥) عهد الخلفاء الراشدين للذهبى، ص(٦٢، ٦٣).

القلوب بقدر ما أضاء انتصار المسلمين غيابات النفوس وقوى من إيمانهم وغرس الثقة فى أعماقهم(١).

سابعًا: خدعة مجاعة وزواج خالد من ابنته ورسائل بينه وبين الصديق:

أ - خدعة مجاعة:

بعد انتصار جيش المسلمين فى حديقة الموت، بعث خالد رضى الله عنه الخيول حول اليمامة يلتقطون ما حول حصونها من مال وسبى، ثم عزم على غزو الحصون، ولم يكن بقى فيها إلا النساء والصبيان والشيوخ الكبار، فخدعه مجاعة فقال: إنها ملأى رجالاً مقاتلة فهلم فصالحنى عنها، فصالحه خالد لما رأى بالمسلمين من الجهد وقد كَلُّوا من كثرة الحروب والقتال، فقال: دعنى حتى أذهب إليهم ليوافقونى على الصلح، فقال: اذهب، فسار إليهم مجاعة فأمر النساء أن يلبسن الحديد ويبرزن على رؤوس الحصون، فنظر خالد فإذا الشُّرفات ممتلئة من رؤوس الناس فظنهم كما قال مجاعة، فانتظر الصلح ودعاهم خالد إلى الإسلام فأسلموا عن آخرهم ورجعوا إلى الحق وردَّ عليهم خالد بعض ما كان من السبى وساق الباقين إلى الصديق، وقد تسرى على بن أبى طالب بجارية منهم وهى أم ابنه محمد الذى يقال له: محمد بن الحنفية(٢).

وكانت وقعة اليمامة فى سنة إحدى عشرة وقال الواقدى وآخرون: كانت فى سنة ثنتى عشرة، والجمع بينهما أن ابتداءها فى سنة إحدى عشرة والفراغ منها فى سنة ثنتى عشرة(٣).

ب - زواجه بابنة مجاعة والرسائل بينه وبين الصديق:

طلب خالد بن الوليد من مجاعة بعدما تم الصلح أن يزوجه بابنته فقال له مجاعة: مهلاً إنك قاطع ظهرك وظهرى معك عند صاحبك. فقال خالد: أيها الرجل زوجنى ابنتك، فزوجه مجاعة ابنته(٤).

وكان الصديق قد أرسل سلمة بن وقش إلى خالد إن أظفره الله أن يقتل من جرت

---

(١) الصديق أول الخلفاء، ص ١١٧.

(٢، ٣) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، خلافة أبى بكر، ص ١١٥.

(٤) الصديق أول الخلفاء، ص ١١٠.

عليه الموسى[1] من بنى حنيفة، فوجده قد صالحهم وأتم خالد عقده معهم ووفى لهم[2].

وكان الصديق يستروح الخبر من اليمامة، وينتظر رسول خالد، فخرج يومًا بالعشى ومعه نفر من المهاجرين والأنصار إلى ظهر الحرَّة فلقى أبا خيثمة النجَّارى قد أرسله خالد فلما رآه أبو بكر قال له: ما وراءك يا أبا خيثمة؟ قال: خير يا خليفة رسول الله قد فتح الله علينا اليمامة وهذا كتاب خالد، فسجد الصديق شكرًا لله وقال: أخبرنى عن الوقعة كيف كانت؟ فجعل أبو خيثمة يخبره كيف صنع خالد وكيف صفَّ أصحابه ومن استشهد من الصحابة، وقال أبو خيثمة: يا خليفة رسول الله: أُتينا من قبل الأعراب انهزموا بنا وعوَّدونا ما لم نكن نُحْسِن[3].

ولما علم الصديق بزواج خالد كتب إليه: يا ابن أم خالد إنك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتى رجل من المسلمين لم يجف بعد، ثم خدعك مجاعة عن رأيك فصالحك عن قومه وقد أمكن الله منهم[4]، وإزاء هذا التعنيف الذى وصل إلى خالد من الخليفة بسبب مصالحته لمجَّاعة وزواجه بابنته بعث خالد إليه كتابًا جوابيًا مع أبى برزة الأسلمى يدافع فيه عن موقفه دفاعًا يتسم بوضوح الحجة وقوة المنطق[5]، يقول فيه: أما بعد فلعمرى ما تزوجت النساء حتى تم لى السرور وقرت بى الدار، وما تزوجت إلا إلى أمرى لو عملت إليه من المدينة خاطبًا لم أبل، دع أنى استثرت خطبتى إليه من تحت قدمى، فإن كنت قد كرهت لى ذلك لدين أو لدنيا أعتبتك، وأما حسن عزائى عن قتلى المسلمين فوالله لو كان الحزن يبقى حيًا أو يرد ميتًا لأبقى حزنى الحيَّ ورد الميت، ولقد اقتحمت حتى أيست من الحياة وأيقنت بالموت، وأما خدعة مجاعة إياى عن رأيى فإنى لم أخطىء رأيى يومى ولم يكن لى علم بالغيب وقد صنع الله للمسلمين خيرًا: أورثهم الأرض والعاقبة للمتقين[6]. فلما قدم الكتاب على أبى بكر رضى الله عنه رقَّ بعض الرقة وقام رهط من قريش فيهم أبو برزة الأسلمى فعذروا خالدًا وقال أبو برزة:

---

(١) أى: بلغ الحلم.

(٢) الكامل (٢/٣٨).

(٣) حروب الردة، شوقى أبو خليل، ص ٩٧.

(٤) حروب الردة، ص٩٧ نقلاً عن الاكتفاء (٢/١٤).

(٥) حركة الردة للعتوم، ص٢٣٣.

(٦) حروب الردة، شوقى أبو خليل، ص ٩٨ نقلاً عن الاكتفاء (٢/١٥).

يا خليفة رسول الله ما يوصف خالد بجبن ولا خيانة، ولقد أقحم فى طلب الشهادة حتى أُعذر وصبر حتى ظفر، وما صالح القوم إلا على رضاه، وما أخطأ رأيه بصلح القوم إذ هو لا يرى النساء فى الحصون إلارجالاً. فقال لأبو بكر: صدقت لكلامك هذا أولى بعذر خالد من كتابه إلىَّ[1].

ونلحظ فى رسالة خالد إلى أبى بكر بعض النقاط التى دافع بها عن نفسه والتى تمثلت بما يلى:

١ – إنه لم يتزوج إلا بعد أن كسب النصر واطمأن به المقام.

٢ – إنه أصهر إلى رجل من زعماء قومه وأشرافهم.

٣ – إنه لم يتكلف أدنى مشقة فى هذا الإصهار.

٤ – إن هذا الزواج ليس فيه مخالفة دينية أو دنيوية.

٥ – إن الامتناع بسبب الحزن على قتلى المسلمين تصرف غير مجد، لأن الحزن لا يبقى حيا ولا يرد ميتا.

٦ – إنه لم يكن يقدم على الجهاد أى أمر آخر، ولقد أبلى فيه بلاء لم يعد – بسببه – بينه وبين الموت أى حاجز.

٧ – إنه فى مصالحته لمجَّاعة لم يأل جهداً فى تحقيق الخير للمسلمين، وإذا كان مجاعة لم ينقل له الصورة عن قومه على حقيقتها، فعذره إنه إنسان لا يدرى من أمر الغيب شيئًا، وعلى كل فالعاقبة كانت فى صالح المسلمين، إذ استولوا على أرض بنى حنيفة ومن ثم فاءت بقيتهم إلى الإسلام دون قتال، وعلى هذا فإن الزواج ببنت مجاعة كان أمراً طبيعيًا لا على خالد فيه بأس، وليس صحيحًا أنه كان ناشئًا عن إعجابه بمجاعة لغيرته على قومه، ولذا: أحب أن يصهر إليه ويوثق الصلة بينه وبينه، وطاب له أن يعزز صلة الدين بصلة البيت والنسب[2]، كما يقول العقاد ذلك لأن خالداً لم يكن ليقدم على رابطة الدين أو يجمع إليها فى التعامل مع الناس رابطة أخرى[3].

وأما أسلوب الدكتور محمد حسين هيكل فى الاعتذار لخالد فإنه مرفوض لأنه

---

(١) حروب الردة، ص٩٨.

(٢) عبقرية خالد (العبقريات الإسلامية) ص ٩٢٢.

(٣) حركة الردة للعتوم، ص٢٣٥.

يتنافى مع أحكام الإسلام، فقد قال هيكل: ومن تكون بنت مجاعة فى أعياد النصر التى يجب أن تقام لخالد؟! إنها لن تزيد على قربان يطرح على قدمى هذا العبقرى الفاتح الذى روى أرض اليمامة بالدماء لعلها تطهر من رجسها(١).

فهذه الكلمات تصور خالداً – الصحابى الكريم – وكأنه أخيل أو هكتور أو أغاممنون من قادة حرب طروادة الوثنيين، الذين لا يحارب الواحد منهم إلا إذا أشير إليه بالبنان أو أمطر بالقبلات والتوسلات، لأنه لا يحارب إلا للزعامة والوجاهة، أو كأنه أحد أصنام العرب الذين تسفح على جنباتهم دماء القرابين تقرباً وتذللاً، أو كأنه إله النيل الذى كان يعتقد المصريون أنه لن يفيض عليهم بالخير إلا إذا قذفوا فى بحره أجمل بنات مصر، فحاشا أبا سليمان ثم حاشاه من قبل ومن بعد من مثل هذه الروح وتلك النفسية، فخالد مؤمن موحد لا يحارب إلا لإعلاء كلمة الله لا يبغى عليها جزاء ولا شكوراً من أحد من خلق الله، ومرفوض أيضاً ما ذهب إليه الجنرال أكرم فى تعليله لما وقع فيه خالد من ملامات من جراء قصص زواجه فى حروب الردة، إذ يعيدها إلى لياقته البدنية: التى سببت له كثيراً من المشاكل بين حسناوات شبه الجزيرة العربية(٢)، على حد زعمه، وكأن خالداً تحول إلى زير نساء أو دون جوان غوان وهو الذى لم يكن يهوى شيئاً هواه الجهاد فى سبيل الله، ولكنها التوجيهات الباطلة التى تفسر الأمور بعيداً عن طبيعة الظروف ومعطيات المبادئ وشواهد الأخبار(٣).

إن خالداً رضى الله عنه كان يقاتل عن دين، ويحتسب الأجر عند الله تعالى، وكان يقتحم المعامع بنفسه، وقد وصف بأنه له أناة القطة ووثوب الأسد(٤)، وما كان يوماً بالذى يؤثر نفسه عن جنده بل كانوا يجدونه أمامهم فى كل معترك، ففى معركة بزاخة: ضرَّس فى القتال فجعل يقحم فرسه ويقولون له: الله الله! فإنك أمير القوم ولا ينبغى لك أن تقدم، فيقول: والله إنى لأعرف ما تقولون ولكن ما رأيتنى أصبر وأخاف هزيمة المسلمين(٥).

---

(١) الصديق أبو بكر، ص ١٥٧.

(٢) سيف الله خالد بن الوليد، ترجمة العميد الركن صبحى الجابى، ص ٢٠.

(٣) حركة الردة للعتوم، ص٢٣٦.

(٤) تاريخ اليعقوبى (٢/١٠٨).

(٥) خالد بن الوليد، صادق عرجون، ص ٧٤٤

وفى معركة اليمامة لما اشتد القتال ولم يزد بنى حنيفة ما قتل منهم إلا عنفًا وضراوة، برز حتى إذا كان أمام الصف دعا إلى المبارزة ونادى الناس بشعارهم يومئذ وكان: يا محمداه، فجعل لا يبرز له أحد إلا قتله ولا شيء إلا أكله[1]، فقد كان يرغب فى النصر ويتحرى الشهادة، ولنترك لخالد يصف لنا جولة من المصارعة بينه وبين أحد جنود مسيلمة داخل حديقة الموت قال: ولقد رأيتنى فى الحديقة وعانقنى رجل منهم وأنا فارس وهو فارس فوقعنا عن فرسينا ثم تعانقنا بالأرض، فأجؤه بخنجر فى سيفى وجعل يجؤنى بمعول فى سيفه فجرحنى سبع جراحات، وقد جرحته جرحًا أثبته به فاسترخى فى يدى وما بى حركة من الجراح وقد نزفت من الدم إلا أنه سبقنى بالأجل فالحمد لله على ذلك[2]، وقد شهد خالد لبنى حنيفة على قوتهم وشدة بأسهم فقال: شهدت عشرين زحفًا فلم أر قومًا أصبر لوقع السيوف ولا أضرب بها ولا أثبت أقدامًا من بنى حنيفة يوم اليمامة.. وما بى حركة من الجراح، ولقد أقحمت حتى أيست من الحياة وتيقنت الموت[3].

ثامنًا: محاولة قتل خالد بن الوليد وقدوم وفد بنى حنيفة للصديق رضى الله عنه:

١ - محاولة قتل خالد بن الوليد:

على الرغم من وضوح باطل الجاهلية وزيفه فإنها لا تتخلى عنه بسهولة لأن به ديمومة حياتها، ولذا ما إن تواجه بالحقيقة حتى تأخذ فى الدفاع عن نفسها بشراسة ولا تلقى سيف القتال من يدها إلا بعد أن يسقط بالقوة[4]، وبعد ذلك تحاول الغدر ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً فهذا سلمة بن عمير الحنفى يدلل بفعله على صحة ما ذهبت إليه، فقد حاول اغتيال خالد بن الوليد بعد الصلح الذى أجراه خالد مع بنى حنيفة بشكل عام، إلا أنه من حقده الناقع للمسلمين فقد دبر خطة اغتيال خالد بن الوليد كجزء من سياسته فى رفض التصالح معهم، ولما قبض عليه أول مرة وعاهد بنى حنيفة ألا يعود لمثلها نكث بعده، إذ أفلت ليلاً من وثاقه الذى أوثقوه به مخافة غدره، فعمد إلى عسكر خالد فصاح به الحرس وفزعت بنو حنيفة فاتبعوه فأدركوه فى بعض الحوائط

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٢٩).

(٢، ٣) خالد بن الوليد، صادق عرجون، ص١٨٠.

(٤) حركة الردة للعتوم، ص٢٩٢.

(الحدائق)، فشد عليهم بالسيف فاكتنفوه بالحجارة، وأجال السيف على حلقه فقطع أوداجه، (عروق رقبته)، فسقط فى بئر فمات[1]، فهذا مثال على عناد الجاهلية فى الدفاع عن باطلها[2].

٢ - قدوم وفد بنى حنيفة على الصديق:

ولما قدمت وفود بنى حنيفة على الصديق قال لهم: أسمعونا شيئًا من قرآن مسيلمة فقالوا: أو تعفينا يا خليفة رسول الله؟ فقال: لابد من ذلك فقالوا: كان يقول: يا ضفدع بنت الضفدعين نقى لكم تنقين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين رأسك فى الماء وذنبك فى الطين، وكان يقول: والمبذرات زرعًا والحاصدات حصدًا والذاريات قمحًا والطاحنات طحنًا والخابزات خبزًا والثاردات ثردًا واللاقمات لقمًا إهالة وسمنًا، يقول: لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه والمعتر فآووه والناعى فواسوه[3]، وذكروا أشياء من هذه الخرافات التى يأنف من قولها الصبيان وهم يلعبون، فيقال: إن الصديق قال لهم: ويحكم أين كان يذهب بعقولكم؟ إن هذا الكلام لم يخرج من إل[4] ولا بر.

وذكر علماء التاريخ أنه كان يتشبه بالنبى ﷺ، وبلغه أن رسول الله ﷺ بصق فى بئر فغزر ماؤه، فبصق فى بئر فغاض ماؤه بالكلية، وفى أخرى فصار ماؤه أجاجًا وتوضأ فسقى بوضوئه نخلاً فيبست وهلكت، وأتى بولدان يبرك عليهم فجعل يمسح رؤوسهم فمنهم من قرع رأسه ومنه من لثغ لسانه، ويقال: إنه دعا لرجل أصابه وجع فى عينيه فمسحهما فعمى[5].

تاسعًا: جمع القرآن الكريم:

كان من ضمن شهداء المسلمين فى حرب اليمامة كثير من حفظة القرآن، وقد نتج عن ذلك أن قام أبو بكر رضى الله عنه بمشورة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بجمع القرآن

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/١١٧، ١١٨).

(٢) حركة الردة للعتوم، ص (٢٩٢ - ٢٩٥)

(٣) عند الطبرى: والباغى فناوئوه تاريخ الطبرى، (٤/١٠٢ - ١٠٤).

(٤) تاريخ الطبرى (٤/١١٨)؛ إل من إله (البداية والنهاية ٦/٣٣١).

(٥) البداية والنهاية (٦/٣٣١).

حيث جمع من الرقاع والعظام والسعف ومن صدور الرجال[١]، وأسند الصديق هذا العمل العظيم إلى الصحابى الجليل زيد بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه، يروى زيد بن ثابت رضى الله عنه فيقول: بعث إلىَّ أبو بكر رضى الله عنه لمقتل أهل اليمامة[٢]، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضى الله عنه: إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استحر[٣] يوم اليمامة بقراء القرآن وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن[٤] كلها فيذهب كثير من القرآن، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ[٥]؟!! فقال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر عمر، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: وإنك رجل شاب عاقل لا نتهمك[٦]، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه[٧] قال زيد: فو الله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل علىَّ مما كلفنى به من جمع القرآن، فتتبعت القرآن من العسب[٨]، واللخاف[٩]، وصدر الرجال والرقاع[١٠]، والأكتاف[١١] قال: حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة، وكانت الصحف عند أبى بكر حياته حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنهم[١٢].

---

(١) حروب الردة وبناء الدولة الإسلامية، أحمد سعيد ص ١٤٥.

(٢) يعنى: واقعة يوم اليمامة ضد مسيلمة الكذاب وأعوانه.

(٣) استحر: كثر واشتد.

(٤) أى: فى الأماكن التى يقع فيها القتال مع الكفار.

(٥) يحتمل أن يكون ﷺ إنما لم يجمع القرآن فى المصحف، لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين بذلك. (سيرة وحياة الصديق، ص١٢٠).

(٦) هذه الصفات جعلت زيداً يتقدم على غيره فى هذا العمل.

(٧) أى: من الأشياء التى عندى وعند غيرك.

(٨) العسب: هو جريد النخل.

(٩) اللخاف: جمع لخفة: وهى صفائح الحجارة.

(١٠) الرقاع: جمع رقعة وهى قطع الجلود.

(١١) الأكتاف: جمع كتف، وهو العظم الذى للبعير أو الشاة

(١٢) البخارى رقم (٤٩٨٦).

وعلق البغوى على هذا الحديث فقال: فيه البيان الواضح فالصحابة – رضى الله عنهم – جمعوا بين الدفتين القرآن الذى أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ من غير أن يزادوا فيه أو ينقصوا منه شيئًا، والذى حملهم على جمعه ما جاء فى الحديث، وهو أنه كان مفرقًا فى العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته، ففزعوا فيه إلى خليفة رسول الله ودعوه إلى جمعه، فرأى فى ذلك رأيهم فأمر بجمعه فى موضع واحد باتفاق من جميعهم، فكتبوه كما سمعوه من رسول الله من غير أن قدموا شيئًا أو أخروا، أو وضعوا له ترتيبًا لم يأخذوه من رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يلقى أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل صلوات الله عليه إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقيب آية كذا فى السور التى يذكر فيها كذا(١)، وهكذا يتضح للقارئ الكريم أن من أوليات أبى بكر الصديق رضى الله عنه: أنه أول مَن جمع القرآن الكريم، يقول صعصعة بن صوحان رحمه الله: أول من جمع بين اللوحين وورث الكلالة(٢)، أبو بكر(٣).

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: يرحم الله أبا بكر هو أول من جمع بين اللوحين(٤).

وقد اختار أبو بكر رضى الله عنه زيد بن ثابت لهذه المهمة العظيمة، وذلك لأنه رأى فيه المقومات الأساسية للقيام بها وهى:

١ – كونه شابًا حيث كان عمره ٢١ سنة فيكون أنشط لما يطلب منه.

٢ – كونه أكثر تأهيلاً، فيكون أوعى له، إذ من وهبه الله عقلاً راجحًا فقد يسر له سبيل الخير.

٣ – كونه ثقة فليس هو موضعًا للتهمة، فيكون عمله مقبولاً وتركن إليه النفس ويطمئن إليه القلب.

---

(١) شرح السنة (٤/٥٢٢) للبغوى.

(٢) الكلالة فى رأى أبو بكر الصديق: من لا ولد له ولا والد، فقال رضى الله عنه: رأيت فى الكلالة رأيًا فإن يك صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فمن قِبَلى والشيطان، الكلالة ما عدا الولد والوالد، أى: هم الأخوة انظر: موسوعة فقه أبى بكرالصديق، ص٣٦.

(٣، ٤) إسناده صحيح: أخرجه ابن أبى شيبة (٧/١٩٦).

٤ – كونه كاتبًا للوحى فهو بذلك ذو خبرة سابقة فى هذا الأمر وممارسة عملية له، فليس غريبًا عن هذا العمل ولا دخيلاً عليه[١].

هذه الصفات الجليلة جعلت الصديق يُرَشح زيدًا لجمع القرآن، فكان به جديرًا وبالقيام به خبيرًا.

٥ – ويضاف لذلك أنه أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد النبى ﷺ، فعن قتادة قال: سألت أنس بن مالك رضى الله عنه: من جمع القرآن على عهد النبى ﷺ؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار: أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد[٢]، وأما الطريقة التى اتبعها زيد فى جمع القرآن فكان لا يثبت شيئًا من القرآن إلا إذا كان مكتوبًا بين يدى النبى ﷺ ومحفوظًا من الصحابة، فكان لايكتفى بالحفظ دون الكتابة خشية أن يكون فى الحفظ خطأ أو وهم، وأيضًا لم يقبل من أحد شيئًا جاء به إلا إذا أتى معه شاهدان يشهدان أن ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول الله ﷺ، وأنه من الوجوه التى نزل بها القرآن[٣]، وعلى هذا المنهج استمر زيد رضى الله عنه فى جمع القرآن حذرًا متثبتًا مبالغًا فى الدقة والتحرى.

كما كان زيد فى طليعة من وَحَّدَ المصاحف فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه[٤]، وسيأتى تفصيل ذلك بإذن الله فى موضعه.

* * *

---

(١) التفوق والنجابة على نهج الصحابة، حمد العجمى، ص ٧٣.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢ / ٤٣١).

(٣، ٤) التفوق والنجابة على نهج الصحابة، ص٧٤.

المبحث الخامس

أهم الدروس والعبر والفوائد من حروب الردة

أولاً: تحقيق شروط التمكين وأسبابه وآثار شرع الله وصفات المجاهدين:

١ - تحقيق شروط التمكين:

إن الاستخلاف فى الأرض والتمكين لدين الله وإبدال الخوف أمنًا، وعد من الله تعالى متى حقق المسلمون شروطه، ولقد أشار القرآن الكريم بكل وضوح إلى شروط التمكين ولوازم الاستمرار فيه قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [النور: ٥٥، ٥٦]. ولقد أشارت الآيات الكريمة إلى شروط التمكين وهى: الإيمان بكل معانيه وبجميع أركانه، وممارسة العمل الصالح بكل أنواعه، والحرص على كل أنواع الخير وصنوف البر، وتحقيق العبودية الشاملة، ومحاربة الشرك بكل أشكاله وأنواعه وخفاياه.

وأما لوازم التمكين فهى: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول ﷺ(١)، وقد تحققت هذه الشروط واللوازم كلها فى عهد الصديق والخلفاء الراشدين من بعده، وكان للصديق الفضل بعد الله فى تذكير الأمة بهذه الشروط، ولذلك رفض طلب الأعراب فى وضع الزكاة عنهم، وأصرَّ على بعث جيش أسامة، والتزم بالشرع كاملاً، ولم يتنازل عن صغيرة ولا كبيرة. قال عبد الله بن مسعود: لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقامًا كدنا نهلك فيه لولا أن منَّ علينا بأبى بكر، أجمعنا على أن لا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون وأن نأكل قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين، فعزم الله لأبى بكر على قتالهم، فوالله ما رضى منهم إلا بالخطة المخزية أو الحرب المُجلية(٢).

---

(١) فقه التمكين فى القرآن الكريم للصّلاّبى، ص ١٥٧.

(٢) الكامل فى التاريخ (٢/ ٢١).

٢- الأخذ بأسباب التمكين:

قال تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وقد لاحظت أن الصديق رضى الله عنه كان إعداده شاملاً معنويًا وماديًا، فجيَّش الجيوش وعقد الألوية واختار القادة لحروب الردة وراسل المرتدين، وحرض الصحابة على قتالهم وجمع السلاح والخيل والإبل وجهز الغزاة، وحارب البدع والجهل والهوى، وحكَّم الشريعة وأخذ بأصول الوحدة والاتحاد والاجتماع، وأخذ بمبدأ التفرغ، وساهم فى إحياء مبدأ التخصص، فخالد لقيادة الجيوش وزيد بن ثابت لجمع القرآن وأبو برزة الأسلمى للمراسلات الحربية وهكذا، واهتم بالجانب الأمنى والإعلام وغير ذلك من الأسباب.

٣ - آثار تحكيم الشرع:

تظهر آثار تحكيم شرع الله فى عصر الصديق فى تمكين الله للصحابة، فقد حرصوا على إقامة شعائر الله على أنفسهم وأهليهم، وأخلصوا لله فى تحاكمهم إلى شرعه، فالله سبحانه وتعالى قواهم وشد أزرهم ونصرهم على المرتدين، ورزقهم الأمن والاستقرار قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. وتحققت فيهم سنة الله فى نصرته لمن ينصره، لأن الله ضمن لمن استقام على شرعه أن ينصره على أعدائه بعزته وقوته، قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

وما حدث قط فى تاريخ البشرية أن استقامت مجموعة على هدى الله إلا منحها القوة والمنعة والسيادة فى نهاية المطاف....)[١].

وقد انتشرت الفضائل وانحسرت الرذائل فى عهد الصديق رضى الله عنه.

٤ - صفات جيل التمكين:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

(١) فى ظلال القرآن (٤ / ٢٧٠).

﴿وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] هذه الصفات المذكورة فى هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين، فقد مدحهم الله بأكمل الصفات وأعلى المبرات(١)، فهذه الصفات:

أ - ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾:

مذهب السلف فى المحبة المسندة له سبحانه وتعالى أنها ثابتة له تعالى بلا كيف ولا تأويل، ولا مشاركة للمخلوق فى شيء من خصائصها(٢). لقد أحب المولى عز وجل ذلك الجيل لما بذلوه من أجل دينهم، وبما تطوعوا به بما لم يفرض عليهم فرضًا تقربًا إلى الله وحبًا لرسوله واتخاذهم المندوبات والمستحبات كأنها فروض واجبة التنفيذ(٣)، ولقد اتصف هذا الجيل بصفات الإحسان والتقوى والصبر التى ذكر المولى عز وجل بأنه يحبها، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦] ولقد أحب الصحابة المولى عز وجل حبًا عظيمًا فقدموا محابه على كل شيء، وبغضوا ما أبغضه، ووالوا ماوالاه وعادوا من عاداه، واتبعوا رسوله واقتفوا أثره، لقد أحب الصحابة ربهم وخالقهم ورازقهم لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، وأى إحسان كإحسان من خلق فقدر، وشرع فيسر، وجعل الإنسان فى أحسن تقويم، ووعد من أطاعه بجنة الخلد التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لهذا كله ولأكثر منه أحب ذلك الجيل ربهم حبًا لا مثيل له، فقدموا أنفسهم وأهليهم وأموالهم فى سبيل الله بلا تردد أو منة، بل اعتبروا ذلك تفضلاً من الله عليهم، أن فتح لهم باب الجهاد والاستشهاد فى سبيله ويسر لهم أسبابه فقاموا بذلك الواجب خير قيام(٤).

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة الكرام (٢/ ٥٣٤).

(٢) تفسير القاسمى (٦/ ٢٥٣).

(٣) كيف نكتب التاريخ الإسلامى، لمحمد قطب، ص ٩٠.

(٤) الإيمان وأثره فى الحياة للقرضاوى، ص (٥ - ١٢).

ب – قوله تعالى ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ :

فهذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه متعززًا على خصمه وعدوه(١)، ولذلك قام الصديق وجنوده الكرام بمناصرة المسلمين وخرج بنفسه يقاتل المرتدين، وسير أحد عشر لواء لرفع الظلم عن المؤمنين وكسر شوكة المرتدين، ولم يقبل من المرتدين الذين عذبوا المستضعفين من مواطنيهم المسلمين إلا أن يأخذ بحقهم منهم فيفعل بهم كما فعلوا بهم، وكذلك فعل قادة جيوشه، وكان رضى الله عنه حريصًا على مراعاة أحوال الرعية فى المجتمع، فقد مر بنا كيف كان يعامل الجوارى والعجائز وكبار السن رضى الله عنه، لقد سادت هذه الصفات فى عصر الصديق وتجسدت فى حياة الناس.

ج – ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ :

وقد ظهرت صفة المجاهدة لأعداء الله فى عصر الصديق فى حربهم للمرتدين وكسرهم لشوكتهم، ومن بعد فى الفتوحات الإسلامية التى سيأتى تفصيلها بإذن الله تعالى، لقد جاهد الصحابة أعداءهم من أجل أن تكون كلمة الله هى العليا، وتحقيق عبادة الله وحده، وإقامة حكم الله، ونظام الإسلام فى الأرض، ودفع عدوان المرتدين، ومنع الظلم بين الناس، وبالجهاد في سبيل الله تحقق إعزاز المسلمين وإذلال المرتدين، ورجع الناس إلى دين الله، واستطاعت القيادة الإسلامية بزعامة الصديق رضى الله عنه أن تجعل من الجزيرة العربية قاعدة للانطلاق لفتح العالم أجمع، وأصبحت الجزيرة هى النبع الصافى الذى يتدفق منه الإسلام ليصل إلى أصقاع الأرض، بواسطة رجال عركتهم الحياة وأصبحوا من أهل الخبرات المتعددة فى مجالات التربية والتعليم والجهاد وإقامة شرع الله الشامل لإسعاد بنى الإنسان حيثما كان(٢).

لقد كان الجهاد الذى خاضه الصحابة فى حروب الردة إعداداً ربانيًا للفتوحات الإسلامية، حيث تميزت الرايات، وظهرت القدرات، وتفجرت الطاقات، واكتشفت قيادات ميدانية، وتقنن القادة فى الأساليب والخطط الحربية، وبرزت مؤهلات الجندية الصادقة المطيعة المنضبطة الواعية التى تقاتل وهى تعلم على ماذا تقاتل، وتقدم كل شىء

---

(١) تفسير القاسمى (٦/٢٥٥).

(٢) فقه التمكين فى القرآن الكريم ، ص ٤٩١ .

وهى تعلم من أجل ماذا تضحى وتبذل، ولذا كان الأداء فائقًا والتفانى عظيمًا[١].

لقد توحدت شبه الجزيرة العربية بفضل الله ثم جهاد الصحابة مع الصديق، تحت راية الإسلام لأول مرة فى تاريخها بزوال الرؤوس أو انتظامها ضمن المد الإسلامى، وبسطت عاصمة الإسلام – المدينة – هيمنتها على ربوع الجزيرة، وأصبحت الأمة تسير بمبدأ واحد، بفكرة واحدة، فكان الانتصار انتصاراً للدعوة الإسلامية ولوحدة الأمة بتضامنها وتغلبها على عوامل التفكك والعصبية، كما كانت برهانًا على أن الدولة الإسلامية بقيادة الصديق قادرة على التغلب على أعنف الأزمات[٢].

وهكذا كان الصحابة يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لوم أحد واعتراضه ونقده، لصلابتهم فى دينهم ولأنهم يعملون لإحقاق الحق وإبطال الباطل[٣].

د – ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾:

الإشارة إلى ما ذكر من حب الله إياهم وحبهم لله وذلتهم للمؤمنين وعزتهم على الكافرين، وجهادهم فى سبيل الله وعدم مبالاتهم للوم اللوَّام، فالمذكور كله فضل الله الذى فضل به أولياءه، يؤتيه من يشاء أى: ممن يريد به مزيد إكرام من سعة جوده والله واسع، كثير الفواضل جل جلاله[٤]، عليم بمن هو أهلها فهو تعالى واسع الفضل، عليم بمن يستحق ذلك ممن يحرم منه[٥].

ثانيا: وصف المجتمع فى عصر الصديق:

حين ندرس المجتمع المسلم فى صدر الخلافة الراشدة تتضح لنا مجموعة من السمات منها:

١ – أنه – فى عمومه – مجتمع مسلم بكامل معنى الإسلام، عميق الإيمان بالله واليوم الآخر، مطبق لتعاليم الإسلام بجدية واضحة، والتزام ظاهر، وبأقل قدر من المعاصى وقع فى أى مجتمع فى التاريخ، فالدين بالنسبة له هو الحياة وليس شيئًا هامشيًا يفىء

---

(١) تاريخ صدر الإسلام للشجاع، ص(١٤٢، ١٤٣).

(٢) تاريخ الدعوة الإسلامية، د. جميل المصرى، ص٢٥٦.

(٣) تفسير المنير (٦/٢٣٣).

(٤) تفسير القاسمى (٦/٢٥٨).

(٥) تفسير المنير (٦/٢٣٣).

إليه بين الحين والحين، إنما هو حياة الناس وروحهم ليس فقط فيما يؤدونه من شعائر تعبدية يحرصون على أدائها على وجهها الصحيح، وإنما من أخلاقياتهم وتصوراتهم واهتماماتهم وقيمهم وروابطهم الاجتماعية، وعلاقات الأسرة وعلاقات الجوار والبيع والشراء والضرب فى مناكب الأرض والسعى وراء الأرزاق، وأمانة التعامل وكفالة القادرين لغير القادرين، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والرقابة على أعمال الحكام والولاة، ولا يعنى هذا بطبيعة الحال أن كل أفراد المجتمع هم على هذا الوصف، فهذا لا يتحقق فى الحياة الدنيا ولا فى أى مجتمع من البشر. وقد كان فى مجتمع الرسول ﷺ – كما ورد فى كتاب الله – منافقون يتظاهرون بالإسلام، وهم فى دخيلة أنفسهم من الأعداء، وكان فيه ضعاف الإيمان والمعوقون والمتثاقلون والمبطئون والخائنون، ولكن هؤلاء جميعًا لم يكن لهم وزن فى ذلك المجتمع ولا قدرة على تحويل مجراه، لأن التيار الدافق هو تيار أولئك المؤمنين الصادقى الإيمان المجاهدين فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم الملتزمين بتعاليم هذا الدين(١).

٢ – أنه المجتمع الذي تحقق فيه أعلى مستويات المعنى الحقيقى (للأمة)، فليست الأمة مجرد مجموعة من البشر جمعتهم وحدة اللغة ووحدة الأرض ووحدة المصالح، فتلك هى الروابط التي تربط البشر فى الجاهلية، فإن تكونت منهم أمة فهى أمة جاهلية، أما الأمة بمعناها الربانى – فهى الأمة التى تربط بينها رابطة العقيدة بصرف النظر عن اللغة والجنس واللون ومصالح الأرض القريبة، وهذه لم تتحقق فى التاريخ وحده كما تحققت فى الأمة الإسلامية، فالأمة الإسلامية هى التى حققت معنى الأمة أطول فترة من الزمن عرفتها الأرض، أمة لا تقوم على عصبية الأرض ولا الجنس ولا اللون ولا المصالح الأرضية، إنما هو رباط العقيدة يربط بين العربى والحبشى والرومى والفارسى، يربط بين البلاد المفتوحة والأمة الفاتحة على أساس الأخوة الكاملة فى الدين، ولئن كان معنى الأمة قد حققته هذه الأمة أطول فترة عرفتها الأرض، فقد كانت فترة صدر الإسلام أزهى فترة تحققت فيها معانى الإسلام كلها بما فيها معنى الأمة على نحو غير مسبوق(٢).

---

(١) كيف نكتب التاريخ الإسلامى، ص١٠٠.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ١٠١.

٣ – أنه مجتمع أخلاقى يقوم على قاعدة أخلاقية واضحة مستمدة من أوامر الدين وتوجيهاته، وهى قاعدة لا تشمل علاقات الجنسين وحدها، وإن كانت هذه من أبرز سمات هذا المجتمع فهو خالٍ من التبرج ومن فوضى الاختلاط، وخال من كل ما يخدش الحياء من فعل أو قول أو إشارة، وخال من الفاحشة إلا القليل الذى لا يخلو منه مجتمع على الإطلاق، ولكن القاعدة الأخلاقية أوسع بكثير من علاقات الجنسين، فهى تشمل السياسة والاقتصاد والاجتماع والفكر والتعبير، فالحكم قائم على أخلاقيات الإسلام، والعلاقات الاقتصادية من بيع وشراء وتبادل واستغلال للمال قائمة على أخلاقيات الإسلام، وعلاقات الناس فى المجتمع قائمة على الصدق والأمانة والإخلاص والتعاون والحب، لا غمز ولا لمز ولا نميمة ولا قذف للأعراض[١].

٤ – أنه مجتمع جاد مشغول بمعالى الأمور لا بسفاسفها وليس الجد بالضرورة عبوساً وصرامة، ولكنه روح تبعث الهمة فى الناس وتحث على النشاط والعمل والحركة، كما أن اهتمامات الناس هى اهتمامات أعلى وأبعد من واقع الحس القريب، وليست فيه سمات المجتمع الفارغة المترهلة، التى تتسكع فى البيوت وفى الطرقات تبحث عن وسيلة لقتل الوقت من شدة الفراغ[٢].

٥ – أنه مجتمع مجند للعمل فى كل اتجاه تلمس فيه روح الجندية واضحة، لا فى القتال فى سبيل الله فحسب، وإن كان القتال فى سبيل الله قد شغل حيزاً كبيراً من حياة هذا المجتمع، ولكن فى جميع الاتجاهات، فالكل متأهب للعمل فى اللحظة التى يطلب منه فيها العمل، ومن ثم لم يكن فى حاجة إلى تعبئة عسكرية ولا مدنية، فهو معبأ من تلقاء نفسه بدافع العقيدة وبتأثير شحنتها الدافعة لبذل النشاط فى كل اتجاه[٣].

٦ – أنه مجتمع متعبد تلمس روح العبادة واضحة فى تصرفاته، ليس فقط فى أداء الفرائض والتطوع بالنوافل ابتغاء مرضاة الله، ولكن فى أداء الأعمال جميعاً، فالعمل فى حسه عبادة يؤديه بروح العبادة، الحاكم يسوس رعيته بروح العبادة، والمعلم الذى يعلم القرآن ويفقه الناس فى الدين يعلم بروح العبادة، والتاجر الذى يراعى الله فى بيعه وشرائه يفعل ذلك بروح العبادة، والزوج يرعى بيته بروح العبادة، والزوجة ترعى بيتها

(١، ٢، ٣) كيف نكتب التاريخ الإسلامى، ص١٠٢.

بروح العبادة، تحقيقًا لتوجيه رسول الله ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**»(١).

هذه من أهم سمات عصر الصديق الذى هو بداية الخلافة الراشدة، وهذه السمات جعلته مجتمعًا مسلمًا فى أعلى آفاقه، وهى التى جعلت هذه الفترة هى الفترة المثالية فى تاريخ الإسلام، كما أنها هى التى ساعدت فى نشر هذا الدين بالسرعة العجيبة التى انتشر بها، فحركة الفتح ذاتها من أسرع حركات الفتح فى التاريخ كله، بحيث شملت فى أقل من خمسين عامًا أرضًا تمتد من المحيط غربًا إلى الهند شرقًا، وهى ظاهرة فى ذاتها تستحق التسجيل والإبراز، وكذلك دخول الناس فى الإسلام فى البلاد المفتوحة بلا قهر ولا ضغط، وقد كانت تلك السمات التى اشتمل عليها المجتمع المسلم هى الرصيد الحقيقى لهذه الظاهرة، فقد أحب الناس الإسلام لما رأوه مطبقًا على هذه الصورة العجيبة الوضاءة، فأحبوا أن يكونوا من بين معتنقيه(٢).

ثالثًا: سياسة الصديق فى محاربة التدخل الأجنبى:

أدت حركة الدولة الإسلامية الضاربة فى الجزيرة العربية إلى لجوء كثير من القبائل المجاورة لكل من الروم والفرس وأبوا التسليم للدولة الإسلامية، وما إنْ سمعوا بوفاة رسول الله ﷺ، حتى سعوا للتقرب من الدولتين، واستغل الفرس والروم هذه القبائل بالحض والتشجيع والدعم لتقف ضد الدولة الإسلامية(٣)،فكانت سياسة الصديق للتصدى لهذا الدعم الخارجى بأن أرسل حملة أسامة بن زيد إلى الشام بعد وفاة رسول الله ﷺ، فكانت تلك الحملة بمثابة الضمان لعدم استرسال تلك القبائل على مهاجمة الدولة الإسلامية، وأرسل أبو بكر أيضًا خالد بن سعيد بن العاص على رأس جيش إلى الحمقتين من مشارف الشام،وعمرو بن العاص إلى تبوك ودومة الجندل،وأرسل العلاء بن الحضرمى إلى البحرين(أى :ساحل الخليج العربى كله)،ثم تابع المثنى بن حارثة الشيبانى إلى جنوب العراق بعد القضاء على ردة البحرين، واضطرت سجاح التميمية وقد كانت من نصارى العرب فى العراق التى كانت تحت سيطرة الفرس أن ترتد عائدة

---

(١) كيف نكتب التاريخ الإسلامى، ص١٠٢.

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٠٣.

(٣) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص٣١١.

إلى العراق لما رأت قوة المسلمين، لقد كان المسلمون بقيادة أبى بكر على مستوى اليقظة والمسئولية، فحفظوا الحدود الشمالية بدقة، فمن الشرق إلى الغرب على طول الحدود الشمالية المتاخمة للفرس والروم نجد العلاء بن الحضرمى، وخالد بن الوليد شمال نجد، ثم عمرو بن العاص فى دومة الجندل، وخالد بن سعيد على مشارف الشام، ناهيك عن جيش أسامة(١).

كان الفرس يتربصون بالإسلام الدوائر، ولكنهم كمنوا كمون الأفعى وخاصة أنهم كانوا يرون المد الإسلامى يكتسح من أمامه كل أقزام التاريخ، ويزيح من وجهه جميع قوى الشر والطغيان، وعندما حانت الفرصة بارتداد بعض القبائل عن الإسلام، وتوجهت قبيلة بكر بن وائل إلى كسرى بعد وفاة الرسول ﷺ تعرض عليه إمارة البحرين فلاقى العرض قبولا لديه، وأرسل معهم المنذر بن النعمان على رأس قوة مؤلفة من سبعة آلاف فارس وراجل وعدد من الخيل تقارب فى أعدادها المائة لمساعدتهم فى مواجهة المسلمين، وهم شرذمة لا يخشى خطرهم كما يقول الكلاعى(٢)، وكان مسيلمة الكذاب تتطلع إليه الأعين من بلاط فارس(٣)، وقد ذكر الدكتور محمد حسين هيكل: من أن سجاح لم تنحدر من شمالى العراق إلى شبه الجزيرة يتبعها رهطها إلا مدفوعة بتحريض الفرس وعمالهم فى العراق، كى يزيدوا الثورة فى بلاد العرب اشتعالاً(٤).

هذا عن دور الفرس أما دور الروم فقد كان أظهر وأخطر، ذلك لأن موقف الروم من الإسلام ودولته كان أصلب وأعتى، فهم أمة ذات فكر وعقيدة وذات نظم وقوانين متقدمة، ولهم من العَدد والعُدد مدد لا يكاد ينقطع، ومن الحلفاء والأتباع دول ودول، ولذا كانت العلاقات بينهما فى أعلى درجات سخونتها وتوترها منذ فترات مبكرة(٥)، وقد لجأ الروم ومنذ وقت مبكر بعد وصول كتب رسول الله ﷺ إلى محاولة الصدام مع المسلمين، فكان من جرَّاء ذلك غزوتا: مؤتة وتبوك اللتان أثبتتا لهم ماديًا أن الدولة الإسلامية ليس من السهل ابتلاعها أو شراء أصحابها، كما أثبتتا للمسلمين من جهة

---

(١) حروب الردة، ص(١٧٤، ١٧٥).

(٢) الاكتفاء فى تاريخ المصطفى والثلاثة الخلفاء (٣/٣١٨، ٣١٩).

(٣) الإسلام والحركات المضادة، ص١٤٦ للدكتور الخربوطلى.

(٤) الردة، غيداء خزنة كاتبى، ص٤٩ مخطوطة نقلاً عن حركة الردة، ص١٤٦.

(٥) حركة الردة للعتوم، ص ١٤٦.

أخرى إخلاص متنصرة العرب من قبائل الشام لأبناء دينهم من الروم، وعلى الرغم من الاتفاقيات التى عقدها رسول الله ﷺ بنفسه إثر غزوة تبوك مع أمراء الشام من أتباع الروم، فإن الروم كانوا لا يكفُّون عن مناوشة الدولة الإسلامية ومحاولة قص أجنحتها، وبالتالى القضاء عليها، وكان الصديق رضى الله عنه متنبهًا لهذا الأمر جيداً، وقد تمثل ذلك فى إصراره الشديد على إنفاذ جيش أسامة لوجهته، وقد رأى قبائل العرب فى شمالى الجزيرة من لخم وغسان وجذام وبلى وقضاعة وعذرة وكلب تعود للانقضاض على عهود رسول الله ﷺ التى أبرمها معها، ومن غير الدولة الرومية يمدهم بوقود المعركة من سلاح ورجال ومال ومخططات؟ وكأنه كان يريد أن يقول للروم بلسان الحال: إنه على الرغم من انتقاض العرب داخل بلادى فإن ذلك لن يفت فى عضدنا نحن المسلمين، ونحن قادرون أن نصد عن دولتنا أكبر هجمة عالمية ولو كانت من جانبكم(١).

إن انتقاض الجزيرة العربية جدد الأمل عند الفرس والروم بأن العرب سيقضون على الإسلام، وقدمت الفرس والروم للعرب الثائرين على الحكم الإسلامى كثيرًا من المساعدات، وآوت الفارين منهم، ولذلك لم يكد المسلمون يعيدون الجزيرة العربية إلى وحدتها حتى كان الأوان قد آن للزحف نحو الشمال لمواجهة العدوين الكبيرين اللذين يتربصان بالإسلام(٢).

لقد تحرك الصديق من قاعدته الأمينة (المدينة المنورة)، وبعث منها الجيوش وزودها بكل ما من شأنه أن يجعلها ذات هيبة فى عيون أعدائها وفى قلوبهم، وقد استطاع الصديق أن يفيض من قاعدته الخير على بقية أرجاء الجزيرة العربية، وما كان له أن ينطلق لفتح بلاد الشام والعراق لولا أنه أمَّن قاعدته الكبرى الجزيرة العربية، موالية للإسلام، موحدة على أساسه، وقد تمثل أمن هذه القاعدة فى ثلاثة مستويات هى:

أولاً: عزم الخليفة على مواصلة الجهاد وإيمانه الوطيد بصلاحية فكره وتميزه واستعلائه به، وثانيًا: نظافة مجتمعه الأصغر مجتمع المدينة من مهاجرين وأنصار، وثالثًا: تطهير مجتمه الأكبر وهو المجتمع العربى من أدران الشرك وعقابيل الردة، وقد انبنت هذه المستويات بعضها على بعض حتى سما البناء شامخًا قويًا واستطاع أن يرمى به ثغور

---

(١) حركة الردة للعتوم، ص١٥٠.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامى، د. أحمد شلبى (١/٣٨٨).

العراق والشام رمياً زعزع كيانات الروم والفرس زعزعة شديدة فى أمد قصير، وما ذلك إلا لأن الجيوش المنطلقة من الجزيرة كانت موحدة الصفوف موحدة الفكر موحدة الراية محمية الظهر مؤمنة مراكز التموين(١).

رابعاً: من نتائج أحداث الردة:

خلفت حروب الردة آثاراً ونتائج لم تكن محدودة الزمان والمكان، وإنما شملت أجيالاً وآماداً وتصورات وأفكاراً وسلوكيات وأحكاماً ما زالت تغذى الأجيال من بعدها وتمدها بالكثير. ومن أهم تلك النتائج:

١ - تميز الإسلام عما عداه من تصورات وأفكار وسلوك:

بعد وفاة رسول الله ﷺ اختلطت الأمور ببعضها، وسارعت الأعراب إلى الردة، فكان منهم المؤلفة قلوبهم أو من المنافقين أو الذين أسلموا رغم أنوفهم، وفى وقت متأخر، أو من الذين لم يسلموا أصلاً، ومن أمثلة الصنفين الأولين إسلام عيينة بن حصن الفزارى الذى أسلم إسلاماً فيه دخن كبير، ولذا ما إن هبت نار الفتنة حتى استجاب لها وباع دينه بدنيا طليحة الأسدى، ولما أسر وبعث إلى أبى بكر مقيداً بالإغلال كان فتيان المدينة يمرون عليه فينخسونه بالجريد ويقولون: أى عدو الله! أكفرت بعد إيمانك؟! فيقول: والله ما كنت آمنت بالله قط(٢)، ومن هؤلاء الذين يقال إنهم لم يسلموا أصلاً قبيلة عنس اليمنية، وهى قبيلة الطاغية الأسود الذى ادعى النبوة وفعل فى بلاد اليمن الأفاعيل ونكل بالمسلمين.

ومن أمثلة سوء الفهم لنصوص الإسلام التى أدت بهؤلاء إلى الكفر أن بعضاً منهم أنكر الزكاة محتجاً بمدلول قوله تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [التوبة: ١٠٣].

فقد جاء فى التعليق على هذه الآية فى تفسير ابن كثير رحمه الله قوله: (اعتقد بعض مانعى الزكاة من أحياء العرب أن دفعها إلى الإمام لا يكون وإنما كان هذا خاصاً برسول الله ﷺ، وقد احتجوا بقوله تعالى ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً** ﴾ وقد رد عليهم هذا

---

(١) حركة الردة للعتوم، ص٣٢٣.

(٢) تاريخ الطبرى (٣/ ٢٦٠)، حركة الردة للعتوم، ص١١٤.

التأويل (السقيم) والفهم الفاسد أبو بكر وسائر الصحابة (رضوان الله عليهم) وقاتلوهم حتى أدوها إلى الخليفة كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ[1].

وظهرت العصبية القبلية بقوة، فهذا مسيلمة الكذاب يقول لبنى حنيفة محرضًا إياهم على اتباعه وإنكار حق قريش بالنبوة: أريد أن تخبرونى بماذا صارت قريش أحق بالنبوة والإمامة منكم؟ والله ما هم بأكثر منكم ولا أنجد، وإن بلادكم لأوسع من بلادهم وأموالكم أكثر من أموالهم[2].

وهذا الرَّجال بن عُنفوة الحنفى الذى أضله الله على علم بعد أن قرأ القرآن وفقه فى الدين يقول فى حقيقة النبوة بين رسول الله ومسيلمة: كبشان انتطحا فأحبهما إلينا كبشنا[3]، وهذا طلحة النمرى قال لمسيلمة عندما رآه وسمع منه ما علم به كذبه: أشهد أنك كذاب وأن محمداً صادق ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر[4].

بل إن مسيلمة يعرف كذب نفسه، فلما كانت معركة اليمامة وبدت الغلبة للمسلمين قال له أصحابه محنقين عليه: أين ما كنت تعدنا به من النصر والآيات؟ فقال: قاتلوا عن أحسابكم فأما الدين فلا دين[5]، واختلطت عليهم التصورات والأفكار والسلوكيات والآمال، وعمل المرتدون على إنهاء الإسلام ومحوه من الوجود وتكالبت قوى الشر على ذلك، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، وأحبطت جميعها بتوحد المسلمين وتجمعهم وتكتلهم حول القاعدة الصلبة للمجتمع الإسلامى التى تربت على يد رسول الله ﷺ، وأصبحت تشبه القطب المغناطيسى الضخم الذى قام – بحكم طبيعته وخصائصه – بجذب كل من كان مؤهلاً للإسلام ويحمل خاصية الانجذاب إلى هذا القطب المغناطيسى الضخم الفعال، فقد أدى هذا التجمع إلى إظهار قوة الإسلام ليس بكثرة العدد والعُدة، وإنما فى قوة تفرده تصوراً وفكراً وسلوكًا فى لبناته الصلبة وتربيتها الفذة التى تربت عليها تلك اللبنات مجتمعة، والقوة فى وضوح التعامل مع الحدث دون مواربة أو تربيت أو إغماض عين وفتح الأخرى، وإنما كانوا واضحين وضوح

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٨٦) طبعة الحلبى.

(٢) حركة الردة للعتوم، ص ١٢٤.

(٣) الإصابة لابن حجر رقم ٢٧٦١.

(٤) تاريخ الطبرى (٤/١٠٤).

(٥) نفس المصدر السابق (٤/١١٢).

عبارة أبى بكر الصديق للمسلمين جميعًا: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت[١].

إن من نتائج أحداث الردة حفظ التصور الإسلامى من التحريف والتشويه وأن تجردت الراية الإسلامية من العصبية الجاهلية والولاء المختلط، وصارت خالصة من أية شائبة، وأن التصور الإسلامى لا يقبل المداهنة مهما كانت الظروف المحيطة، وأن القوة الإسلامية لا ترتبط بالعدد ولا العدة ولكن بقوة الإيمان والروح المعنوية، وأن الأصل دعوة الناس إلى الإسلام وليس مقاتلتهم، فالدعوة أولاً، وأن الحرص على الناس هو المقدم على كل شىء[٢].

٢ - ضرورة وجود قاعدة صلبة للمجتمع:

أظهرت أحداث الردة معادن أصيلة فى بنية قاعدة هذه الدولة، وكشفت عن عناصر صلبة، فلم يكونوا أفراداً متناثرين ولكنهم كانوا يشكلون القاعدة لهذا المجتمع ولهذه الدولة، ولم تكن قاعدة رخوة أو هشة أو ساذجة، وإنما كانت قاعدة صلبة واعية، تدرك حقيقة نفسها وحقيقة عدوها وتعى أبعاد المخاطر من حولها، وتخطط بانتباه ويقظة كاملة فى مواجهة كل الصعاب، وهى مع هذا وذاك موصولة بالقوى العزيز، ولهذا انتصرت على كل خصومها وأزالت كل العوائق من طريقها، فقد حافظت هذه القاعدة على الإسلام ودولته، وساهمت فى جمع الحشود لكسر شوكة أهل الردة، وعملت على لم شمل الناس من حولها، وتم بفضل الله ثم جهود هذه القاعدة الصلبة حفظ كيان الأمة وبقائها وتنميتها[٣].

٣ - تجهيز الجزيرة كقاعدة للفتوح الإسلامية:

بمجرد وفاة الرسول ﷺ تناثرت التجمعات، وتمردت كثير من القبائل على الخليفة، وقام الصديق رضى الله عنه مع الصحابة بعمل شاق عظيم استطاعوا أن يُخضعوا القبائل للدولة، وأشرف الصديق على تنفيذ الخطط التربوية والتعليمية والحربية والإدارية، ونجح نجاحًا باهرًا، والتحمت القبائل العربية مع الدولة الإسلامية وأصبحت جزيرة العرب

---

(١) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص ٣٢٣.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٣٢٤.

(٣) نفس المصدر السابق، ص ٣٢٥.

بسكانها قاعدة الفتوح الإسلامية بعد ذلك، وصارت هى النبع الذى يتدفق منه الإسلام ليصل إلى أصقاع الأرض فاتحًا ومعلمًا ومربيًا[١].

إن جزيرة العرب هى قاعدة الفتوح فكيف يتسنى الفتح إذا لم تكن له قاعدة أو كانت هذه القاعدة مضطربة غير مستقرة، أما الآن فقد أصبح ممكنًا تعبئة كل طاقات شبه الجزيرة وحشدها للأعمال الحربية التى تلت[٢].

٤ - الإعداد القيادى لحركة الفتوح الإسلامية:

ومن خلال أحداث الردة التى ميزت الصفوف وامتحنت الطاقات والقدرات، وكشفت عن الطبقة التى كانت تغطى معادن الأمة، ظهرت المعادن الخسيسة على حقيقتها وأعطيت القيادة للمعادن النفيسة الصلبة المصقولة لتمسك بزمام الأمور فى حركة الفتوح، فالمصادر التاريخية تمدنا بمعلومات جمة عن قيادات لم تكن من المهاجرين ولا من الأنصار ولا من الصحابة، ولكنهم تربوا من خلال كتاب الله مباشرة، ثم صقلتهم أحداث الردة وميزتهم عن غيرهم، ليصلوا إلى صدارة الجيوش الفاتحة وشهد لهم الجميع بالحنكة والأداء المتفانى والإيمان الصادق.

هذا وقد كانت القيادة المركزية فى المدينة وميادين القتال تديرها قيادات غاية فى التفاهم والتعاون والتحاب على الرغم من بعد المسافات، إلا أن التوازن الرائع بين دور كل من القيادة المركزية وقيادات ميادين القتال كان واضحًا وبارزًا[٣].

٥ - الفقه الواقعى للردة:

وردت العديد من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التى تحدثت على الردة كحالة تعترى بعض البشر، وكل ما ورد من النصوص ظلت فى إطارها العام النظرى الثابت، ولم تكن قد مورست بشكل عام فى الواقع، ولما وقعت الردة وعاشها المسلمون عمليًا واستنبطوا لها أحكامًا على ضوء تلك النصوص، كانت تلك الاستنباطات معالم هادية لفقه تلك النصوص، ويتضح هذا من نقاش بين الصحابة حول موقفهم من هؤلاء القوم، فكانوا يعودون إلى النصوص يدرسون ويتحاورون حولها، وسرعان ما يتفقون على صورة

---

(١) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص٣٢٦.

(٢) الطريق إلى المدائن، أحمد عادل كمال، ص١٨٢.

(٣) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص ٣٢٨.

واحدة سواء فى تقييمهم وتوصيفهم الوصف المنطبق عليهم، أم فى طريقة معاملتهم، فهذه الوقفات العملية أمام الحدث والنص انتجت أبوابًا فى كتب التشريع الإسلامى ضمت تفصيلات تشريعية دقيقة عن أحكام الردة، ثم صار عمل الصحابة سابقة فقهية تؤخذ فى الاعتبار عند استنباط اجتهاد أو تطبيق حكم فيما بعد(١).

٦- ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ :

إن أية محاولة للتمرد على دين الإسلام سواء أقام بها فرد أم جماعة أم دولة، إنما هى محاولة يائسة مآلها الإخفاق الذريع والخيبة الشنيعة، لأن التمرد إنما هو تمرد على أمر الله المتمثل بكتابه الذى تكفل بحفظه وحفظ جماعة تلتف حوله، وتقيمه فى نفوسها وواقعها مدى الدهر، وبحكمه القاضى بالعاقبة للمتقين وبالمن على المستضعفين أن يديل لهم من الظالمين، إن مصير الكائدين لدين الله هو البوار فى الدنيا والآخرة وما أجمل ما قال الشاعر:

كناطح صخرة يومًا ليوهنها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل(٢)

٧ - استقرار التنظيم الإدارى فى الجزيرة:

استقر التقسيم الإدارى بعد انتصار الصديق فى حروب الردة على نظام الولايات وهى: مكة وكان أميرها عتاب بن أسيد، والطائف وأميرها عثمان بن أبى العاص، وصنعاء وأميرها المهاجر بن أبى أمية، وحضرموت ووالياها زياد بن لبيد وخولان ووالياها يعلى بن أمية، وزبيد ورقع ووالياهما أبو موسى الأشعرى، أما جَنَد اليمن فأميرها معاذ بن جبل، ونجران ووالياها جرير بن عبدالله، وجرش ووالياها عبدالله بن ثور، والبحرين ووالياها العلاء بن الحضرمى، وعمان ووالياها حذيفة الغلفانى، واليمامة ووالياها سليط بن قيس(٣).

* * *

(١) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص ٣٢٩.

(٢) حركة الردة للعتوم، ص٣٣٤.

(٣) الدولة العربية الإسلامية لمنصور أحمد الحرابى، ص٩٧.